

# مذكرات الشاعر الراحل برهان الدين العبوشي

||

||

من كان يطمع في الخلود ففي فلسطين الخلود  
أبوابها الفولاذ تفتحها المدافع والجـنود  
في قلبها سكن الشهيد وبالشهيد غداً تعود

العبوشي

# الإهداء

أهدي الكتاب إلى الشهيد فخير ما  
يُهدى إلى رجل الجهاد كتابُ

قد رُمْتُ أهديه المكارمَ كُلَّها  
فإذا بها من فيضه تنسابُ

الشاعر العبوشي

## بسم الله الرحمن الرحيم (هاؤم إقرأوا كتابيه)

(سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر).

(اللهم هب لي حقلك ، وأرض عني خلقك)

(اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء  
والمرسلين).

## المقدمة

احمد الله تعالى خالق كل شيء هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

وبعد... ليست حياتي حياة ذلك الفاتح العظيم، او المكتشف الخطير، او العالم المبتكر، ولكنها حياة فتى فكهل عربي مسلم من فلسطين، تفتحت عيناه في مدينة (جنين) على معالم العبودية العثمانية، وشب في بيت معروف، وترعرع في حماة استعمار بريطاني بغض اليه الحياة وحبب إليه الجهاد، كنت اسير في شوارع بغداد والشام وبيروت والقاهرة وعمان، فألمح عناوين كتب عن حياة (غاندي ونهرو ومصطفى كمال)، وقرأ سيرة المثني وخالد وعياض وصلاح الدين، فتمتد يدي بلهفة وأفرغها في يد البائع، لأعود بالكتب الى البيت أقرأها شغفاً وحباً، بعد عراقك خفيف مع فلسفة الاقتصاد.

كنت أقرأها فأجد مادتها شرحاً لحياة رجل يأكل الطعام ويمشي في الاسواق يرى كما نرى، ويسمع كما نسمع، ويشعر كما نشعر وليست حياة، كما خيل لي من قبل مشحونة بالاراء العلمية والفلسفية، والمغامرات المستحيلة والمعجزات، وانما هي سجل حياة مرت، او شاشة سينمائية لعوامل داخلية وخارجية، مرت على رجل عاقل لبيب عكسها على الشاشة ليفيد بها الالباء وعظا وارشادا ومنتعة، وادركت ان جميع الناس يعيشون عيشة هذا الرجل، وربما استهدفوا مفاجآت تستلفت القلب والنظر، ان حياة هذا العظيم كحياة سائر الناس فلماذا لا يكتبون باخلاص ليقراً الابناء تجاربهم، فيفيدوا منها عظة ورشدا، فتكون أساساً للأحفاد، يبنون على هداها، ويبصرون بنورها؟ فالقلم مشاع للجميع، والعقلاء يقرأون كل نتاج تصدره امة الادب، ولكن المصيبة في ان الابداء لا ينفذون الى اللحم الخفي في حياتهم، وانما انصرفوا الى معالجة قشور وفلتات لا تصور حياة الجيل الذي هم فيه، ولعل اكثرهم كان مضطراً الى ذلك لضيق ذات اليد، وعوامل الدنيا القاهرة التي يمثلها قول شاعر لبناني:

هي الدنيا فما تركت اديبا يعيش بقومه عيش الاديب  
وليأسه من طبع الكتاب بعد اتمامه، لان ما يجنيه من شق قلمه لا يكاد يسد شق فمه بله  
اطفاله، ولان قراء العربية يستمتعون بنتاج أعدائها؟ وهذا لعمرى اكبر فوز لمدارس  
الاستعمار والتبشير.

لكنني ... سأكتب كعربي من فلسطين، وان كتبت فأنا اكتب الى قلوب امضها الاستعمار،  
بقلم أسأل عبرته الزمان، من مهجة صدعها الجوى، وفكر قومَه العقل ، وعقل هذبه  
المُصاب.

إنني اكتب كعربي من فلسطين شاهد كثيرا وتأمل في ما شاهد، وحلل وفحص ومحص  
فخرج بنتيجة صحيحة كتجاربه، وهانذا اقدم الى القارئ نتيجة هذا التحليل بكلام عربي  
مبين يفيد الاحفاد كما ارقق الاجداد، وفائدة الاحفاد هي التي حدثت بي الى كتابة كل ما  
اكتب شعرا ونثرا، ولست أؤثر الشهرة في كتابتي، فأني سأموت ، وماذا تفيدني الشهرة  
بعد موتي، وماذا تفيدني حيا، وانا لست بطالب جاه او منصب او مال؟ سيرت الله تعالى  
الارض وما عليها، ولا نظفر في الآخرة إلا الصدق والبذل في سبيله تعالى ولوجهه  
الكريم. (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، اني اشهد  
بوحدايتك ولا اشرك بك احدا، واشهد ان محمدا نبيك ورسولك، وأومن بما جاء به  
واتوسل اليك بشعري:

سبحان وجهك يا من نوره سطعت منه الشموس وزانت روحه كلمي  
هب لي فصاحة قراني اصغه دعا أبث فيه شكاتي من لظى ألمي

وبقول رسولك الكريم (اللهم رحمتك ارجو، فلا تكني الى نفسي طرفة عين، واصلح لي  
شأني كله، لا اله الا انت) وبقوله عليه الصلاة والسلام (اللهم أصلح لي ديني الذي هو  
عصمة أمري، واصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي اخرتي التي اليها معادي،  
واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، والموت راحة لي من كل شر).

## عهد الطفولة

يا (حيمنا) سال من ظهر الى رحم  
قل لي أكنت زعيما في الحشا ملكا  
أم كنت فيه جبانا لا تطيق فدا  
لو كنت تعلم لم تسبح بذيلك في  
لتستقر سجيننا تسعة خلقت  
حتى استقر على وهن وفي وخم  
أم كنت فيه أميرا غير متهم  
أم عالما خاض بحر العلم والحكم؟!  
متاهة البول تبغي بيضة الرحم  
في نفسك الشر تواقا لسفك دم

أستهل عهد طفولتي بهذه الابيات من قصيدتي في (الحيمن الانسان) المنشورة في ديواني ( الى متى )، ابدأ طفولتي من الساعة التي بدأ فيها الانجليز في الحرب العالمية الاولى يقصفون مدينتي (جنين) ليخرجوا من بعض بيوتنا جنود الترك والالمان، وكان ذلك سنة ١٩١٨م مع العلم انني ولدت في جنين سنة الف وتسعمائة واحدى عشرة ميلادية، اي في (١٣٢٩) (رومية) في اليوم السابع من كانون الاول حسب شهادة ولادتي العثمانية، وقد حدثني سيدتي رحمها الله ورحم والدي انها امضت ثلاثة ايام خطرة في مخاضها بسبب كبر رأسي، واشرفت على الموت لولا عناية الله تعالى إذ قبض لها عم والدي (الحاج مصطفى العبوشي) وكان في التسعين من عمره، فبادرها بعقد منديل في عنقها قرأ عليه من آيات الله فولدتني، وعلى ذكر عم والدي هذا اقول انه عاش مائة وعشر سنين، وحضر معركة (سيواستبول) مع الجيش العثماني، وقطعت هناك يده، وحدثني بعض اقاربي ان الحاكم البريطاني في (جنين) زار جدي في بيته، فزعم الحاكم ان الانجليز ساعدوا الترك في هذه المعركة، وبعد النصر رفع العلم البريطاني على الارض التركية، وانزل العلم التركي. فاغتاظ جدي ونفى ذلك بغضب وقال ان (الترك) رفعوا رايتهم الاسلامية وانزلوا الراية البريطانية وداسوها بالنعال، وخبط الارض برجله، فأحمر وجه الحاكم واعتذر وقال انت اصوب مني لانك كنت حاضرا، ومن هنا نعلم حب المستعمرين للسيطرة ولو كذبا.

نرجع الى موضوع ولادتي: كثيرا ما اتأمل في امر الجنين في بطن امه ماذا يكون حاله لو متعه الله تعالى بالوعي وهو في ذلك السجن الضيق من رحمها؟ اما كان مزق احشاءها فيقتلها لو ادرك ليخرج الى الوجود بسرعة؟ اذا فلن يبقى نتيجة لهذا بشر على وجه الارض، او ما كان لف حبل سرتة حول عنقه فأنتحر قبل خروجه الى دار التعاسة والشقاء والخبث والمكر والرياء، فسبحان المهندس الاعظم الذي اوجد البشرية بسلبه الجنين وعيه.

لنعد الان الى الشطر الطفولي من حياتي، اذكر ان جنود الانجليز والاستراليين (ذوي الريشة على رؤوسهم) دخلوا (جنين) وكانت محطة قطارها تحترق، فهب لنجدتنا عمي (عبد الرحيم) رحمه الله (استشهد محترقا في بيته بقنابل الصهاينة في المعركة في الخامس من يونيو/ حزيران سنة ١٩٦٧م في جنين)، هب لنجدتنا من قرية العانلة (بيت قاد)، وهي شرقي جنين وتضم مزارع العائلة، فاقتحم المدينة على فرسه (سمحة)

وهرب بي الى القرية من جنين ردفاله، وقد كادت الفرس تكبو بنا في شرقي المدينة لتعثرها بأسلاك الهاتف التي قطعها قنابل طائرات الانجليز، وماذا شاهدت في طريق الهرب الى (بيت قاد)؟! رأيت الهول، اذ سمعت في اواخر الليل في (وادي البلاط) في مفرق الطريق بين (بيت قاد) وقرية (دير ابي ضعيف) انين الجرحى الترك ملقين على البلاط يصيحون بالتركية (أمان) صيحة تفتت الاكباد، وبرغم طفولتي فقد اثر بي ما سمعت، وظللت اذكره مدى الحياة.

سبحان الله ... ثم جاء الانكليز من اقصى الغرب يطردونهم بحجة انقاذنا على يد الشريف(الحسين بن علي)، فأرهقونا وفرقونا وباعونا وطرردونا ليحل اليهود محلنا، وامتي العربية سادرة تتلهي بالزعامات القشورية والتزلف الى المستعمر الكذاب، وشبابنا المثقف تلهي بالوظيفة السخيفة يحارب بعضهم بعضا بالمبادئ الدخيلة، ويسحل بعضهم في الشوارع لتقر عين الدخلاء والمستعمرين وكنت انا من المظلومين.

بقينا في (بيت قاد) مدة، ثم عدنا الى (جنين) حيث استتب النظام وتم تفتيش الانجليز للبيوت من اجل السلاح، وقد استسلمت فلول الترك والالمان، ساقوا اسرى الحرب، وكانت دار جدي(الحاج قاسم احمد العبوشي) هدفا للقصف حيث كانت مسكنا للجنود الالمان، ومن الطرافة ان اذكر ان عمي (رضا) رحمه الله قد غنم حصانا قبرصيا ضخما كان يكلف عمي علفا كثيرا حتى كان يأكل خشب الابواب لنهمه، اما والدي (حسن قاسم احمد العبوشي) (توفي في جنين سنة ١٩٦٦م) رحمه الله فقد ابي ان يستولي على الاواني والسلاح الذي غمر الشوارع، وقذف بالملاعق وامثالها مما خلفه الالمان في بيتنا الملاصق، قذفها في المطمورة (بئر مهجورة في البيت) أنفة منه ان يستعمل المنهوب، وفي اثناء ذلك عادت امي (الحاجة مشخص بنت الحاج يوسف ابراهيم شيخ عشيرة ابي بكر الحسن واحمد الجابر) عادت الى جنين من (بيت قاد) وقد كان اغمي عليها في طريقها الى القرية خوفا من طائرات الحلفاء التي ظنتها من الجنود، فأغارت عليها، عادت ومعها شقيقي الاصغر(حسني) وهو في مهده، وعلى ذكر شقيقي هذا اذكر انني وانا طفل احببت ان اداعبه في مهده فجنبته من رجله فخرج عظم فخذ من مكانه، ثم اعاده الطبيب. لقد تزوج شقيقي هذا من ال قريشي الباكستانية وانجب(جلالا) وشقيقاته الثلاث(رابعة وميسون وريم) وهم الان في لندن حرسهم الله.

## في المدارس الابتدائية

استتب الامر للانجليز، ومن تلك السنة الى اتمامي السادسة الابتدائية في جنين لم اكن اعي شيئا سوى اننا احيانا كان يلقتنا المعلمون اناشيد وطنية لاهبة لتقاوم النشيد البريطاني(ياللهي احفظ ملكنا العظيم) الذي فرضته دائرة المعارف الانجليزية علينا، ومن جملة هذه الاناشيد المقاومة(محبة الاوطان حتم على الانسان، في كل آن) وهو على نغم النشيد الانكليزي المذكور، ونشيد اخر هو (نحن جند الله شبان البلاد، نكره الذل ونأبى الاضطهاد) واخر وهو(بالقنا والقضب شيد مجد العرب) واخر(يا فلسطين اذكرى

دور المحن)، واخر (شبووا على الخصم اللدود) واخر (بطل الريف محمد فخرنا عبد الكريم) ويقصد به البطل محمد عبد الكريم الريفى.

انى لأذكر ان جدي (الحاج مصطفى) عم والدي الذي ذكرت قصته مع الحاكم البريطاني كانت لا تخلو يوماً من الضيوف من انحاء كثيرة لانه كان وجيه القوم مماثلاً لوجهة حافظ باشا عبد الهادي، وكان كل منهما يحترم الآخر ويزوره، وعائلة عبد الهادي كبيرة مشهورة في زمن الترك يوم ساعدت ابراهيم باشا المصري ضد عشيرة آل جرار المشهورين في منطقة جنين، وآل جرار عشيرة مرموقة محترمة، وكثير من افراد عائلتي يمتون اليه بالخوءولة، كما ان افراداً آخرين من عائلتي وانا منهم نمت بالخوءولة الى عشيرة احمد الجابر (ابي بكر الحسن)، لم تكن عائلتي في زمن (ابراهيم باشا المصري) ذات سطوة في جنين اذ كنا - آل العبوشي - قلة، وكانت كثرتنا في مسقط رأسنا الاصلي (كفر عبوش) من قضاء بني صعب (طولكرم) وأصلنا من الحجاز ( نجران ) كما علمت مؤخراً.

لقد كان سبب رحيل فرعنا عن (كفر عبوش) هو ان احد اجدادنا هناك واسمه (الجندي) كان في مسيرة مع احد اصدقائه من شيوخ (بني جيوس) المشهورين في قرية (كفر زيباد) المجاورة لكفر عبوش، فخرج عليهما ابن عم هو عدو لهذا الشيخ الجيوسي وهاجمه، فأستجد الشيخ بجدنا (الجندي) ليرد عنه عدوه الجيوسي الاخر، فأمتنع جدنا ان يتدخل بين ابني عم واحد، ولكن المعتدي هاجم الاثنين يريد قتلهما، فأضطر جدنا (الجندي) ان يدافع عن نفسه فقتله، وهنا تحرك دم الشيخ ضد (الجندي) رفيقه فطالبه بدم ابن عمه ناسيا انه هو الذي حرضه وانه دافع عن نفسه، فأضطر جدنا الى الرحيل الى جنين منذ مئات السنين تاركا عشيرته في (كفر عبوش) ومن هذا الجد تأسس فرعنا في جنين ، وعلمت اننا اقرباء عائلة (الحلبية) في قرية (بيت ريماء) من قضاء رام الله وآل بركات في مدينتي القدس والخليل.

والحقيقة ان الناس جميعاً اقارب، فهم (ابناء ادم وحواء) عليهما السلام، وزعم البعض اننا حجازيون او من ارض (سبأ) في اليمن الخضراء وقد روي ذلك عن الملك عبد الله بن الحسين الذي كان يوهمه منافسوننا اننا اعداؤه لصدناقتنا للحاج امين الحسيني مفتي فلسطين وجماعة اعداء الاستعمار، والحقيقة ان عائلتي (العبوشي) كانت مرموقة محترمة لدى جميع خدام الوطن المبغضين للاستعمار، وكان ديوانها مثابة لزعماء الامة العربية، وهذا ما اغاظ المنافسين المنافقين للملك عبد الله والميجر (كلوب) (ابي حنيك) وحكومة فلسطين البريطانية.

واهل جنين الابطال وقضاءها الكريم يعرفون ذلك، ويذكرون بفخر اننا كنا خدامهم مادام ذلك في صالح الوطن، وممن نزل في هذا الديوان الرئيس شكري القوتلي واهله، والزعيان فائز الخوري وفخري البارودي المناضلان السوريين، والامامان آل كاشف الغطاء والطباطبائي وكثير من زعماء فلسطين وكثير من ولاة العهد العثماني.

اذكر انني بعد الاحتلال البريطاني كنت مع شقيقي (جمال) في المرحلة الابتدائية، وقد استقر في جنين وكان لحين وفاته ( رحمه الله ) يعمل في التجارة وصاحب أملاك، وقد تزوج ابنة مفتي جنين الشاعر الاديب الذكي الشيخ محمد اديب الخالدي المخزومي رحمه الله.

وزوج اخي هذه، مارست مهنة التعليم وهي مثقفة انجبت له هلالا ( صيدلانيا تخرج من إسبانيا واستقر فيها ) وبلالا ( طبيباً واستقر في جنين ) ونبالا، وأمها عبوشية (حفظهم الله جميعا) وجمعنا بهم بعد طول اغتراب فقد حكمت علي احدى محاكم الاردن بالسجن الغيابي وبمصادرة الاملاك بسبب قصيدة وخطاب ادعتهما من اذاعة بغداد اثر ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ ولم اتعرض فيهما للاردن بشيء.

اذكر ان سننا جميعا في الابتدائية كانت سن الرجال، اذ كنا نحارب الانجليز بالاضرابات والعصيان، واذكر انني تعرضت لقافلة من تسعين سيارة تقل سياحا من يهود امريكا، مرورا من جنين لزيارة القدس ليستقروا فيها سكانا مهاجرين رغم انف العرب ويتأمر مع الانجليز، فرميت احداها بحجر كان اثقل مني فوق علي سقف السيارة ولم ينفذ، فاحتجزتني الشرطة، فتجمع اهل المدينة لاتقاضي، فتنازل الامريكي مذ رأني صغيرا، ولكنه تساعل كيف يطيق طفل مثلي ان يلقي حجرا اثقل من طاقته على سيارة، وانا ايضا استغرب، ولكن حقدني على المستعمرين امدي بقوة خارقة حينذاك، كما امدنا بمثلها في تلك السن يوم حملت شرطيا يهوديا كان الوحيد من جنسه في جنين وضربت به الارض وقطعت ازرار سترته الرسمية فحكمتني المحكمة بجنيه وعشرة قروش وكان الذي حكمني اذ ذاك طاهر الافغاني.

واكرر مرة اخرى كصفحة من صفحات تعلمنا الابتدائي ان مديرنا السيد (يحي الشهابي) جمعني واخرين من صفي الرابع الابتدائي على ما اذكر ليضربنا (الفلقة) او (العلاقة) وكان نصيبي منها ثمانية واربعين عصا لم اشعر بها، اذ كنت قد حشوت قدمي بالقطن سلفا، وسبب ضربنا هو انه كان يريد ان نستظهر مادة العلوم كما نحفظ الشعر، لقد كانت مناهجنا استعمارية، واستمرت كذلك الى ان تكس البريطانيون من فلسطين سنة ١٩٤٨م وكنسوا معهم من لجا منا الى بلاد العالم، انهم كانوا يريدون من الطالب ان يكون مجرد آلة تنطق ولا تعي، وكانوا لا يدرسون من التاريخ والجغرافيا الا اسماء المعارك والدول والملوك وتواريخها، والا اسماء الانهار والمدن والبحار لنلا يتعلم الطالب الاستنتاج فستنتج حينئذ بالمقارنة انه مستعمر(بفتح الميم الثانية) يجب ان يتخلص من مستعمره، وينجي بلاده وخيراتها وثقافتها وماضيها وحاضرها ومستقبلها منهم ومن الصهاينة، وان يبني لنفسه وطنا عربيا حرا يستغني بموارده وعلاقاته وحدوده وجيشه عن كل ما يمت الى الغرب الجشع، ان الانجليز لم يسمحوا بالمدارس العالية في فلسطين ان تقام الا (دار المعلمين) و(دار المعلمات)، وقصدتهم من ذلك قتل العلم والمعرفة وحصرهما باليهود الذين اقاموا الجامعة العبرية، وباستثناء تلك المدارس الحكومية الابتدائية والثانوية القليلة فقد قامت مدارس اهلية(ككلية النجاح الوطنية) في نابلس، وكلية (الروضة العربية) في القدس ومدارس تبشيرية اخرى كمدرسة(سمبل) في صفد ومدرسة(صهيون) ومدرسة المطران في القدس ومدرسة (الفرنذ) في رام الله ومدرسة(شنلر) الصناعية في القدس، لقد كان معلمونا مخلصين في التعليم، وكنا نعتبر المعلمين آباءً لنا ، وكان الصف اهدأ من المسجد، فكانت تتم الفائدة اما انا شخصيا فيشهد لي معلمي بالهدوء والسكينة والنظام والمثابرة وحسن الاخلاق، والحقيقة ان ذلك كله كان مصدره خوفا من (والدي الوقور الشديد في تربية ابنائه، فقد كان يسمح للادارة بسلخ جلدي وابقاء عظمي له لانه، رحمه الله تعلم عند مشايخ يأخذون بشفاه

تلاميذهم وأذاتهم ويلوحون بهم في الفضاء ثم يضربون بهم الارض)، و(لقد حصل لي مثل هذا عند الملا)، او يجلسونهم على ركبهم تحتها حصى يؤلمهم واباؤهم فرحون، كان معلمونا مخلصين فكانوا يكثرون من رحلاتنا الى القرى والجبال واقامة المخيمات الكشفية على طريقة(بادن باول) وتأليف فرق كرة القدم والقفز العريض والعالى والسباق بأنواعه والعباب الالهرام، وكنت من المتقدمين بكرة القدم، وكان نصيبي من التشكيلات الهرمية ان اكون في احدى القواعد الهرمية التي يقف عليها سائر اعضاء الفرقة لاتمام الهرم، اما اللغة العربية فكان المعلمون مخلصين لها كرد فعل لتعصب الانجليز للغتهم وعنجهيتهم، كنا نحفظ في كل اسبوع قصيدة كاملة، يشرحها لنا المعلم، وكثير منها ما يكون وطنيا برغم رقابة الانجليز على المعلمين، فقد كان المعلم يشعر من الاعماق بعشق اللغة الام، ومن هنا كانت تكثر اسواق الشعر بيننا في الصفوف وخارجها، والمطاردة الشعرية نتلهم بها في الطرقات بدل المقاهي وبدل الشتائم والسباب ومطاردة البنات ورصدهن في موافقهن كما يفعل الشباب اليوم، كان معلم الدين يسوقنا الى المسجد لتطبيق قواعد الفرائض، وفي رمضان المبارك كنا لا نعرف بيوتنا الا ساعة الافطار، فقد كنا نسلخ وقتنا بعد المدرسة في المساجد نتبارى في ختم القرآن الكريم، والتفقه به وبالصلاة، فنزداد ايمانا بالروح والعمل الصالح والسير صفا واحدا الى غاية واحدة، الى عروبة واحدة الى دين واحد الى ايمان برب واحد لا شريك له يعلمنا الاستقلال والعزة والتشاور والاشتراكية التي لا تدع فينا فقيرا واحدا، وكان اخواننا المسيحيون يسرون معنا في حرية العبادة فنحن في مساجدنا نعبد الله جل جلاله، وهم في كنائسهم يتعبدون على طريقتهم، ومن هنا نجم ياس الانجليز منا، ويأسوا من خشوعنا لامرهم، فطردونا بعد حروب واسلموا جثتنا لليهود.

كنت ارى معلمي في الصف يتحدث الينا وامامه على (الطاولة) دفتر طويل جلده اصفر يرجع اليه الفينة بعد الفينة فنظن معلمنا ضعيفا، ثم ادركت بعدئذ انه دفتر تحضير الدروس، ومن هنا نستفيد من معلمنا لانه يهيئ الدرس قبلنا، ويتعب عليه اكثر منا والويل للمعلم الذي لا يصطحب معه هذا الدفتر للصف، فان كلمة المدير كانت حاسمة، وشخصية المفتش كانت طاغية ترتجب لهولها المدرسة كلها، فتبادر الادارة قبل حضوره الى تنظيم المدرسة وتنظيفها ويبادر المعلمون الى مراجعة دفاترهم حين يسمعون بمجيء عزرائيل(المفتش)، اذكر اننا قمنا مرة كطلاب بعصيان على مديرنا تلبية لنداء الوطن، وهربنا الى الجبل وتبعنا الفراش على ضعفه ليرجعنا الى المدرسة، وحضر بعدها المفتش اللبق(شريف صبوح) وكان من اصدقاء والدي، حضر ليطردنا من المدرسة ظاهرا، ثم اخذ يفاوضني ويقرني عن خلاف بين المدير السيد كمال الخطيب(من القدس) وبين معلم الاجتماعيات السيد صالح البشتاوي من (نابلس) الذي كان يحرضنا في الامور الوطنية ليقوي مركزه، فلم يستفد مني المفتش شيئا، فضربني كفاً على وجهي لا ازال اذكره، سامحه الله، وضربت يده السبورة فصاح ثم كلف زميلنا الطالب (الياس عطا الله) سرا ليتوسط بأسم المدرسة ليعفو المفتش عني وعن سائر اخواني الطلاب الوطنيين الشجعان كما كان ينعتنا معلمنا السيد صالح البشتاوي، فصدر عفو المفتش عنا جميعا، وهو اليوم صديقي الحميم، وهو النابلسي الذي يخدم الجميع كعربي تهزه النخوة عند زيارتك (نابلس) فيكرمك(بالكنافة) التي قال احدهم عنها:

على سدر (الكنافة) مددوني وفي طيات جبتها ادفوني.

لنعد الان الى مرحلتي الابتدائية لانها اساس كل الاجيال، لقد كنت من المتقدمين في اللغة العربية، وكنت انتدب للمباريات الخطابية والشعرية، ومن القصائد التي اذكرها ما حفظنيه معلمي المحترم(سميح عبد الهادي) وهي قصيدة وطنية لشاعر سوري وهي عن سوريا ومنها:

اظلم الليل وغاب القمر  
سرت ليلا وألّفي الضجر  
وتنأى عن عيوني السهر  
ليس في ليلى رقيب بنظر  
غير عين من عيون الشهب  
سرت في البداء في جنح الظلام  
والخطى مني لخلف وأمام  
وإذا بالقرب من صخر تنام  
غادة لو شامها بدر التمام  
لتوارى خجلا في السحب  
قالت الحسناء والدمع انسكب  
إنني من نسل قحطان العرب  
روح سوريا وقد صحح النسب  
قيدوني ودعوني انتحب  
من مجيري من قيود الأجنبي

واذكر أنني أخطأت في التمرين بحركة واحدة فلطمني المعلم (سلمت يده) لطمة جعلتني افوز بالمباراة على صغر سني وكنت في الثاني او الثالث الابتدائي بجائزة هي منديل حرير منقوش عليه جمل واهرام مصر.  
وكانت مدرستنا(الراشدية) على تل (المراح) في جنين واما في الصفين الخامس والسادس الابتدائيين فكان معلمنا في العربية الشيخ فارس العورتاني، وهو أزهرى من طولكرم استفدت منه.

## في البيت

كنا في البيت أربعة أشقاء وأنثيين شقيقتين عدا الوالدين، وكان والدانا متعبدين تقيين، وكان ابوهما واماها ركنين في عشيرتهما، كان ابي عسكريا زمن العثمانيين، سرت عليه قرعة التجنيد الاجباري، فانشغل عن العمل المستقل، وجمع المال بعد ان تسلم تحصيل بعض ديون ابيه "الحاج قاسم العبوشي" من القرى والبدو، ولكنه انتبه في كبره فأبنتى لنا دارا في جنين على طريق حيفا غربا وعلتها والدتي (رحم الله الجميع) بدار فوقها، ولوالدي شقيقان من امه(حمامة) المنصور هما الحاج عارف، وهذا له سبعة اولاد ذكور، هم فريز (ابو صلاح) واختار بيروت مقرا له حيث كان مدير مال في الدولة، وعزت (ابو اسحق) وعزيز وهذا لم يتزوج، والشيخ عبد الرؤوف وامه من آل الصغير، ومحمد وعباس وجعفر فأمهم من آل عزوقة واما ابو صلاح وشقيقاه عزت وعزيز فأمهم عبوشية، وجميع من ذكرت متزوجون منجبون الا عزيزا، ولهم اربع اخوات متزوجات، وشقيق والدي الثاني هو عبد الرحيم الذي احرقته واحرقت بيته قنابل الصهاينة في جنين في معركة ١٩٦٧ وهو متزوج ولم ينجب، رحم الله الجميع، ولوالدي ستة اخوة اخرين من ام (جرارية) غير أمه وثلاث اخوات منها ايضا هن عماتي

الفاضلات، وهؤلاء الستة الذكور هم فوزي وقد توفي حدثا وفائز (ابو راجح) والحاج محمد سعيد (ابو رياض) وحيدر وقد مات عزبا ورضا (ابو قاسم) واحمد وقد توفي عزبا ولم يبق من جميع اعمامي حيا الى هذه الساعة التي انقل فيها كتابي في دفتر لاقدمه للرقابة لطبعه الا الحاج محمد سعيد، رحم الله من مات ومن بقي ووالدي ورحمة الله على الجميع.

لقد قاسى والدي في تعليمي وتعليم اشقائي رشدي وهو اكبرنا وجمال وحسني وهما اصغر مني سنا، وشقيقتي خيرية (ام قاسم) وسنية وهي امينة سر الاتحاد النسائي في جنين، ومديرة مدرسة البنات هناك ومؤسسة مستشفى المجاهدين في جنين في حربنا مع اليهود سنة ١٩٤٨م وقد ساعدها في ذلك زميلاتها الفاضلات في المدرسة وهي تعلم الان في العراق وقرينة العقيد المتقاعد ثابت مشتاق قائد المدرعات العراقية في معركة جنين سنة ١٩٤٨م، اما شقيقتي الكبرى خيرية فهي قابلة قانونية في (جنين) وزوجة الوجيه رؤوف قاسم عبد الهادي (زميل نوري السعيد وابراهيم باشا الراوي من زمن العثمانيين)، لقد بذل والدي جهدا كبيرا في تعليمنا التعليم الثانوي، اذ لا مدارس ثانوية في جنين آنذاك، الا ان الله تعالى فرجها بعد ذلك اذ تسلم كل منا عمله، واذ اضطر اكثرنا الى الخروج من بلدنا، والعمل في الاقطار الشقيقة، ولم يبق منا في جنين الا الوالدان وشقيقي جمال والشقيقة الكبرى خيرية.

## الشعر

اما قولي الشعر فبدأ في دراستي الابتدائية على اثر زلزال (نابلس) وكنت اذ ذاك في ساحة المدرسة قرب الجامع الكبير بجنين، بدأ الزلزال (بقرعة) في الارض تلتها هزة رميت نفسي على الارض العراء مقتديا بغيري، وفي هذه الفترة توفي (سعد زغلول) زعيم مصر الخالد فأعنتم الشاعر حافظ ابراهيم مأساة زلزالنا فأبّن زعيمه سعدا بقصيدته المشهورة التي منها:

قل لمن بات في فلسطين يبكي

والله زلزالنا اشد مصابا

قد بليتيم في دروكم وبلينا

بنفوس أبين إلا احتسابا

واعتقد ان اول بيت بداته في حياتي في المدرسة الابتدائية هو:

احمامة الوادي إلي تعالي

وترنحي نشوى هوى بدلال

وتلطفى فوق الغصون ورجعي

وترنحي بعذوبة وجمال

ومن شعري تلميذا ايضا:

أناجي نجوم الليل والسقم رائدي

لعل السهى حان عليّ ومنجدي

طروبا بشوشا هاتفا غير واجد

سهرت وكم في الليل من عاشق صدى

واشكو الذي في القلب للبدر والسهى

لقد كنت قبل اليوم قلببي مرفرفا

يشم شذا الريحان والنرجس الندي  
يمج كؤوس البؤس في كل مرقد  
يداي لقتلي قبل انهاء معهددي

يطير مع الاطيوار يشدو مع الربا  
وأمسي فؤادي اليوم حيران باكيا  
ولو كان قتل النفس حلالا لبادرت

لاحظ الآن أن الابيات مؤسسة في آخرها غير الاول والثاني مما يدل على ايام التلمذة.  
ان ما كسبته من لغتي الحبيبة يرجع اولا الى اعتزازي بعروبتي ومحيطي العربي  
الخالص، حيث كنت اقضي الاشهر الكثيرة في قريتي (يعبد و زيوبيا) من قرى أحوالي  
الجميلة في قضاء جنين، والى كون فلسطين كلها بلدا زراعيا يعنى بكل ما يعنى به اهل  
الريف والى عروبة معلمي الابرار وتقديرهم كل تلميذ يجيد لغته، وقد كانت كتبنا كلها  
مصرية، طبعها انيق وورقها صقيل وشكلها لطيف ولا اخطاء مطبعية فيها، وهذه كلها  
تريح عين الطالب وذنه، وتجذبه الى الاقبال على الكتاب ذي الصور المتقنة التي  
يتعشقها الاطفال، ولا ازال الى الان احفظ من بعض القطع النثرية والشعرية التي مرت  
علي انذاك، وكان مما اقر في فؤادي حب لغتي وبلادي ومآثر اجدادي قراءة والذي  
الكريم القرآن الكريم في كل صباح، وسوقه ايانا مع أذان الفجر الى المسجد الصغير في  
جنين الذي تمر فيه عين الماء، ليعلمنا الصلاة في زمهرير الشتاء، مما سبب تورما  
مؤلما لاصابع قدمي لا تزال اثاره الى اليوم ولكن بدون الم.

وزاد في تعشقي لغتي ان والذي تعود ان يسهر عنده بعض اصدقائه الاتقياء فيتسامرون  
على قراءة السيرة الحلبية وغزوات الرسول الكريم وعلي ابن ابي طالب (رضى الله  
عنه)، وقصص عنتره العبسي، وكان والذي رحمه الله رجلا اي رجل شجاعة وكرامة  
وعظمة اخلاق وثقة مطلقة بالله عز وجل وبآية الكرسي الكريمة، هذه الثقة هي التي  
حدثت به الى ركوب الليل الذي يعكره قطاع الطرق، والى الصبر على الضيق في كثير من  
الاحوال بسبب جفاف الارض واتكاله على ارث ابيه، وقد كانت امه (حمامة المنصور)  
مثال الصبر والتقوى وكرم الاخلاق شأن والديها من قبل رحمهم الله جميعا.

ان والذي فجع بنزوحنا عنه، وكان املنا ان نرجع مع الفاتحين ان شاء الله.  
اما والدتي رحمها الله فأنها كوالدي صبورا وعظمه خلق وتعبدا وثقة بالله جل جلاله، الا  
انها تمتاز بالحنان المتأجج الذي لا تخفيه كما تخفيه رجولة ابي، واليكم هذه الطريفة:  
لزواج والدي من والدتي قصة، ذلك ان جدي احب ان يخطبها لوالدي من امها زوجة (   
الحاج يوسف ابراهيم) شيخ عشيرة (احمد الجابر) وكان قد توفي، وكانت جدتي هذه  
تقية ورعة تغمرها سذاجة نادرة، فرفضت ان (تناسب) جماعة لا تعرفهم ولم تفد معها  
محاولة ابنها الذكي (عبد الفتاح) لاقتناعها، ففكر في الامر فرأى ان في القرآن الكريم حلا  
للمشكل، فاخذ يقرأ سورة (الرحمن خلق الانسان علمه البيان)، واطاف من  
عنده (العبوشيان ما العبوشيان فبأي الاء ربكما تكذبان)، والعبوشي هو لقب عائلتنا،  
وكرر الآية والزيادة على مسمعا مرات، فأنتبهت جدتي رحمها الله مندهشة وسألته،  
تقول العبوشيان ومن هم هؤلاء؟ فقال هم الذين خطبوا ابنتك (مشخص) ومانعت في  
العطاء، فقالت ماداموا هكذا فهم اذن بركة فقم واعطهم حالا ولم تدر هي ان جملة  
(العبوشيان) ليس قرآنا، وجرت هذه الطريقة بين الاحياء مع العلم بأن الدس والزيادة  
على كلام الله لا يجوزان مهما كان الغرض، استغفر الله العظيم، وعلى ذكر (عبوش)

قرأت في كتاب تاريخ سوريا ولبنان للدكتور فيليب حتى انه اكتشف في قرى بني حسن الاردنية صنم اسمه (ابش) كان يعبد الاموريون او من عاصرهم من العرب، فقلت الا يجوز ان تكون قرية (كفر عبوش) قد سميت بأسم ذلك الاله الحجر اي (قرية ابش) ولاسيما ان سكانها ينتمون قديما الى (بني حسن) النازحين من جزيرة العرب كما يزعم البعض؟

لقد كان لي ولع منقطع النظير بنهج البلاغة، ولا ازال احفظ منه قطعا، وهو ولا شك في المرتبة الثالثة بعد القران الكريم الذي هو الاول وبعد ما ثبت من حديث الرسول الكريم، ان نهج البلاغة يطربني، ففيه من البلاغة والوصف العلوي والالم العبقري وحديث الروح والعقل والمنطق والحس والبركة والجراح ما يخشع له الاديب، ويتصدع لوقعه الصخر لو يفقهه، وحسبك ان مدحه لعمر ابن الخطاب(رض) يصفع اعداء الاسلام الذين يفرقون بين (علي) النزيه و(عمر)العاقل وهما صهران كما ان فيه ردعا للشتم والسباب. وكنت مولعا بديوان الحماسة لابي تمام، وكتاب فتوح البلدان، وقصص عنتره وتغريبة بني هلال، وسيف بن ذي يزن التبعي وصلاح الدين، كل هذه اثرت بي في سن الدراسة الابتدائية، وما ان بلغت المرحلة الثانوية حتى كان شغفي بالعربية ملتهبا، ولهذا بت اعتقد ان المرحلة الابتدائية للطالب هي المرحلة الاساس، وهي التي عليها وبفضها يؤسس الطالب رغبته في لغته، فأن اهلها المعلمون اهلوا الاجيال الصاعدة، وانقصوا حبهم لغتهم، وهي سر قوتهم وبقائهم في الحياة، اما ترى ان الترك ومن قبلهم والمستعمرين من بعدهم قد حاربوا لغتنا ليقتلونا وتذهب ريحنا، الم ترى الى الشعوبيين كيف يسخرون من فصاحتنا ان نطقوا كلمة فصحي واحدة، ولقد دسوا مثل هذا السخر، وا اسفاه، بين طلابنا فحاربونا ونحن معلموهم، ان العربية لغة القران والعروبة باقيتان ما بقي بشر، فأن انتقل البشر الى كواكب السماء فسيجدونهما هناك غنيتين زاهرتين في كتاب الله العظيم، ولو ان قنابل الهيدروجين والصواريخ احرقت الكون بأسره ولم يبق في الارض لغة، فأن لغة القران باقية، ان العربية لها سجل يحفظها ويعيدها سيرتها الاولى كما اعادها زمن الرسول الكريم وبعد هولاءكو والترك والاستعمار الحديث، ذلك السجل هو القران الكريم، اما سائر اللغات الغربية فمن الهين دمارها، اذ لا مرجع اليه فيبعثها من موت، وبحسب العرب ان يجدوا نسخة واحدة من كتاب الله فيستنسخون عنه، ولست اقول هذا اعتباطا، فالذي ازال(هيروشيما) واختها في اليابان يزيل عواصم العالم وغير العواصم ان استبدت شهوة الشر والمسيطرة على الحكام المستعمرين وتجار الحروب واعداء البشرية والسلام الصحيح واعداء الاسلام، ولكن اخشى ما اخشاه هو تقصير المعلمين في تغذية ابناء اللغة بحب اللغة، فأن اهلوا واستدرجوا الطالب الى كره لغته والى حب غيرها فأقرأ على اللغة واهلها العفاء، ان لغة القوم يجب ان تسبق كل لغة في المدارس فلا نخلق لها ضرة تزامها وتقضي عليها حتى اذا تمكنت لغتنا من دم ابناءها فأحبوها وعشقوها سمحنا للغات الاوربية ان تسير في ركابها في مدارسنا حيث لا خوف على لغتنا حينئذ من مزاحماتها في المدرسة، وخير ما يرعرع لغة البلاد في الجيل تدارس القران الكريم تدارسا صحيحا من معلمين يشعرون به ويتحسسون معانيه، وتكثير تلاوة الشعر والنثر الفني والمرسل والانشاء والمباريات الخطابية، والتردد على المكتبات العربية والتمثيل.

هذا هو ترياق لغتنا ان اردنا بقاءنا على الارض محترمين ولكل قومية الحق في ان تنمي لغتها في ابنائها، ولا تنس بادرة خطرة على لغتنا في اجيالنا الصاعدة، هي ما للام من اثر على لسان الطفل وحبه وعشقه للغة، وهنا مكنم الخطر على الذين يتزوجون من الاجنبيات فانهم يطعنون امتهم طغنتين نجلاوين، طعنة القضاء على بنات العرب بابقائهن عوانس يأكل قلوبهن الغيظ كما قال تعالى: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصننا)، وطعنة فقدان روح العربية والعروبة من اطفالنا المساكين، ولقد سررت بقرار الحكومة العراقية سنة ١٩٧٨م بحظر الزواج من الاجنبيات غير العراقيات والعربيات، وهناك امثلة كثيرة على ذلك وحسبك الركة في لغة عربنا المهاجرين الى الامريكيتين وغيرهما وتعثر ابناء العرب الذي لغة بيتهم فرنسية او انكليزية او روسية او تركية او فارسية او .. او .. هذا من جهة. ومن جهة اخرى فان تضعف الدولة السياسي والثقافي، وتفرق الكلمة يجعلها هدفا للطامعين من المستعمرين فيستولون عليها وعلى كنوزها ولغتها، كالذي حل في لبنان زمن فرنسا، وفي بلاد العرب وفي الترك والانكليز والى اليوم، فلقد تتخلل لغة الناس مئات المفردات الاجنبية على لسان الاجنبيات وأنسباء ازواجهن العرب من هذه المفردات: الميز ( المنضدة ) والبوري ( القضيب المعدني ) والبطل (القارورة) والجقمجا والقوبجا والاستكانة ( قدح الشاي ) (ابدها الله عنا) والجلاس(الكوب) والكرداغ والبرداغ اللتين تدوخان الدماغ، والطنجرة والبريموس والبابور والفتندرة والبيرو في لغة فلسطين وبلاد الشام وغيرها، وكان السبب في ذلك سيطرة لغة الحاكمين الاقوياء على اهل البلاد المضعفين انفسهم بالشقاق والتفرقة والزواج بالاجنبيات وعدم قناعتهم بغير المستعمرين حكاما واوصياء وقديما جاء في القران الكريم (واطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم) وقصدي من هذه الاية الكريمة كلمة (منكم) وقصد الاية الكريمة لا من غيركم وهذه بني عليها منطوق الحكم الشعبي الذاتي الحديث (من الشعب وبالشعب والى الشعب)، ويؤيد ذلك الرجوع الى آيات الشورى الاخرى في القران الكريم كيف يهمل عربي لغته وهي مثقفة الشرق والغرب من الاندلس الى الهند نشرها اشبال العرب مع الرحمة والعدل وقد وصفتهم بشعري:

فوق خيل كأنها برق ليل عودتها الوغى اقتحام السدود

وشعري هذا فيه اصف كيف نشروها في الاندلس وجنوبي فرنسا فتلقفها الانكليز والاسبان والفرنسيون وتعلموا منها بحور الشعر والقافية، ولم يتقنوها، واسموا القافية(سونيت) وقلدوا قواعد اللغة العربية والقرآن فطبقوها على لغاتهم، اين انت يا بغداد، اين انت يا درة بني العباس؟ اين مناراتك الزاهية، انها كانت اثرا من اثار سيطرة لغة القرآن تحلى رجالها بالانها فهل تعودين؟ نعم قالت بغداد يوم اعيد فلسطين، واجدد (حطين) واهزم المستعمر اللعين من جميع بلاد العرب هلا هلا بك على يد امثال خالد وصلاح الدين وابطالهما الميامين.

## المرحلة الثانوية

انهيت المرحلة الابتدائية وبقيت سنة بعدها محروما من نعمة الدرس لضيق ذات اليد فان بلدي لم يكن فيه مدرسة ثانوية، كما ان ابي كما ذكرت كان مشغولا بالانفاق على اخوتي

الكبار، ولم يكن انتاج الارض ليفي بحاجة ما، فسماء فلسطين تجود فصولا وفي فصول اخرى تكون سماؤها من نحاس، ولم يكن فيها نهر يسقيها وجداول وابار، فحيناً تجود الارض بثلاث سمان وحيناً تنذر بمثلها عجاف، وقد جاءها الاستعمار ضغثاً على ابالة برغم هذا فنحن ننعم في كل فصل فيها بالفصول الاربعة، وبالجمال الشجراء والخيرات المتدفقة التي لا تكفي عرب فلسطين لما جبلوا عليه من كرم وجود وسخاه توارثوه عن اجدادهم عرب الجزيرة على ان جبالنا الشجراء تزينت بشجرها الجديد بعد ان سلخها الترك من اشجارها الباسقة القديمة لحاجة جيوشهم وقاطراتهم يوم كانوا يسوقون شبابنا للحرب دفاعاً عن الخلافة المزعومة.

تأخرت سنة واحدة عن التحصيل الدراسي كنت ارى فيها السماء والارض والنجوم والناس والحياة ونفسي واهلي في صورة غير التي كنت اراهم فيها يوم كنت تلميذاً انعم بلذة الدرس، على ان هذه افادتني الما عبقرياً اذكى لهيب شعري، وحدا بي الى هجر الناس متخذاً مسارح لهوي بين الجبال والوديان اخاطب بملء صوتي بلادي وامتي وانذر المستعمرين بالويل والثبور، ثم استلقي على الصخر، التهم كتاب نهج البلاغة وكتبا اخرى ذكرتها انفا واعترف ان القران الكريم ودواوين الشعر مضافا اليها حياتنا الريفية اذكت بي مشاعر الشاعر، ورجولة الخطيب والسير الطويل، وبغض الاستعمار مما وجه حياتي وجهة ثورية وطنية عربية شعبية عادلة قذفت بي الى منابر فلسطين والعراق ولبنان والشام ومصر ورمت بي في احضان المعتقلات القريبة والبعيدة، وحببت الى الجهاد في الجبال والوديان كجهاد صلاح الدين نفاحا عن امتي وبلادي.

لقد سيطر على الشعر مع جهلي بأوزانه، وكنت حين يأتيني شيطان الشعر اتمنى الانفراد ويملكني الشعور واسبح في الخيال، اذرع الغرفة مقللة علي، واردد ما انظمه بصوت عال كأنني في حال جنون، فاغضب بالقوافي على المستعمرين والمتخاذلين بالامة العربية، واتهدد بالقوافي واتوعد وكثيراً ما كنت افر الى الجبل الشرقي في جنين(جبل المراح) اقف على الصخر منفرداً اردد ما يخطر على بالي من الشعر واكتبه الى ان تهمد نار صدري فانزل الي مدينتي عابسا متأثراً، وكان بعض المارة يسمع ابياتي من بعيد فيستغربون، وكثيراً ما كان يأتيني الشعر في الشارع ليلاً فاكتبه على ضوء القمر غير مبال بمن يراني، واراني احياناً اهب من نومي لاسجل ابياتا خطرت علي في حلمي فانساهها عند الكتابة فاحزن كثيراً لانها كانت (حلوة)، وكثيراً ما كانت معادلات الجبر والكيمياء توحى لي في شكلها على السبورة صورة بيت الشعر فاشغل ذهني بشعر جديد ينسني الدرس والمدرس وانني سارسب لانشغالي عنهما، ولكن المدرسين حياهم الله ادركوا آفتي فتساهلوا، ومن هؤلاء استاذي الكريم(قذري طوقان) مدرس الجبر والهندسة رحمه الله، لقد سبب لي الشعر هموماً كثيرة كان من جملتها ان (احمد حلمي باشا) مديرنا العام في (بنك) الامة العربية كان هو ومعاونوه رحمهم الله جميعاً، يدعون أن أعمالهم في (البنك) لا تلتئم وعلمي في الشعر الذي يساورني اثناء الوظيفة كما يتصورون او كما يصوره لهم مراقب البنوك البريطاني الذي يفزعه شعري الثوري حين اثير به الشعب وادعوه لحمل السلاح في القرى والمدن والبادية، لقد ادعى (البنك) انني بسبب الشعر خسرت ستة دنائير من صندوق البنك يوم كنت امينا للصندوق في طبريا، وقد تبين للباشا بعد سنين ان مديرنا في طبريا (صدقي الطبري) هو الذي افتعل هذا الأمر

بان اعاد سندا بالمبلغ المذكور الى السيد(وديع عطا الله) وسامحه بالمبلغ لنقص صندوقي فيظهر تقصيري، وقد كان ذلك بسبب معارضتي اياه في ادانة من لا يستحق من جماعته، ولظنه انني افضح معاملاته في تسرب ارضه الى اليهود، وانا بريء لم افضحه في التهمة الثانية رغم شيوخها بين الناس، ولم اتحدث بها ولا اثق بصحتها الان، لقد اعترف السيد(وديع عطا الله) بأن (صدقي الطبري) هو الذي سلمه السند ولم يأخذ قيمته منه ولكنني تغرمت المبلغ وقد اكتشف (البنك) ذلك بعد حين .

مضى العام بما فيه، فأقمت الدنيا واقعتها لاتمم تحصيلي، وكان اهل بيتي يتمنون ذلك، فاستدان والدي ورأى ان يدخلني مدرسة (سميل) الاجنبية في مدينة (صفد) العربية المجاهدة، فأركني والدي مهرا كان لعمي(لطي) ابي رؤوف، وركب هو فرسا له، وتسلحت بخنجر لا غمد له، وسرنا عصرا الى صفد عن طريق قرية(زرعين) فجبل الدحي<sup>(١)</sup> نسبة الى الصحابي الجليل دحية الكلبي كما يقولون.

وكنت ارى عن بعد قطيعاً من الغزلان فر منا اذ لمح شيخ الانسان الظالم، وخيم علينا المساء، فارتأى والدي ان يسير في اصعب طريق تقطعه اللصوص، وفي نقطة الخطر بين الاودية ترجل والدي عن فرسه وترجلت ، واستقبل الكعبة يصلي المغرب والعشاء فأستغربت منه ذلك فرد علي: يقول الله تعالى( قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا).

وسألته يا ابت لم لا تحمل السلاح في مثل هذا الوضع؟ فقال السلاح لا يره قضاء الله تعالى، ثم نظر الي مشفقاً فلمح خنجراً في يدي فابتسم وقال لم حملته؟ وما عسى ان يرد هذا عنا؟ فقلت حملته دفاعاً عنك، فابتسم مرة اخرى وردد الآية الكريمة:

(الله خير الحافظين) وانطلقنا وسهت عين ابي وهو على السرج فأفاق حيث اجفلت فرسه، فأدرك انه على حافة واد سحيق مرعب كدنا نتردى فيه، والتفت يمناً ويسرة يتعرف المكان في حندس الليل فعرفه ثم ترجل وترجلت ونزلنا الوادي بالفرسين متتدين، ثم صعدا الطرف الاخر بشق النفس فحمد الله واثى عليه وقال نجونا من خطر وهذه قرية (طمرة) قد اطلت علينا، ودخلنا القرية على حين غفلة من اهلها، فنزلنا في بيت صديق لابي في شرقي القرية وفي الصباح ركبنا فأشرفنا على مدينة (طبرية) واشترينا علفا للفرسين من بدوي معدم هناك فأبى ان يقبض الثمن، واجتازنا طبرية شمالاً في طريق (الجاعونه) الى عرب(الخوالد)، فاکرموا وفادتنا ثم زحفنا على (صفد) من خلال الشعاب والجبال حتى اشرفنا عليها، واذ بيدي تمتد الى جيبي دون وعي وتسحب ورقة وقلما وتسطر ابياتاً تتم عن فيض فرحي بقربنا من الهدف، هذا قبل التحصيل الثانوي وهناك من الابيات التي قلتها سنة ١٩٢٨ كأوائل عهدي بالشعر.

باتت لنا (صفد) وباتت ضواحيها وباتت لنا بدرا وباتت لاليها  
فسأل والدي عما افعل، فقرأت له ما كتبت فسر بسروري ولقولي الشعر في هذه السن، وظللنا نسير الى ان تسلقنا جبل صفد، ودخلنا المدينة في الضحى ، ولم نر احداً في

---

(١) أظنه جبل بني داحي ( حرمون الصغير ) كما هو التاريخ القديم.

المقاهي، ونزلنا ضيوفا على ابن عمي القانوني(خليل) رئيس الكتبة في محكمة(صفد) وعضو المحكمة المركزية في (نابلس) بعد ذلك، وهو (ابو عوني) المهندس الميكانيكي

الذي فاز بدرجة الاول في العالم كما وصفته صحف الولايات المتحدة والصحف العربية، سألت ابن عمي (خليلا) عن سر خلو المقاهي في صفد من الناس فقال: لانهم لا يملكون ثمن كوب القهوة فقد كتب عليهم الاستعمار الحرمان من العمل، واعز اليهود هناك وعلى ذكر صفد اذكر انني زرتها في الاربعينيات وقلت فيها ابياتا اذ احتفلوا بي ، منها:

(صفد) بمعنى القيد بت احبه في ذكرها فأذا استقل أسبّه  
لا تعجبوا مدحي لها فلأهلها شيم الندى فهم سداه وألبه

في صفد اتفقتنا مع مدير مدرسة(سمبل) ورجعنا الى جنين من طريق آخر يمر بقريّة (كفر كما) حيث كان لوالدي اصدقاء من الشركس الذين ارضعته امرأة منهم وكان والدي يحصل منهم على التبغ المشهور، لانه كان مدخنا مدمنا جنى عليه التدخين الذي تتولد عنه امراض مخيفة في الصدر والمعدة والامعاء، وصلنا (جنين) فرحين برغم التعب وليالي الخطر في الطريق، واذ بنا نعدل عن مدرسة صفد فيدخلني ابي كلية النجاح الوطنية بنابلس لقربها من جنين ولاهتمامها بلغة الاجداد ولمعونة المجلس الاسلامي الاعلى لي بنصف القسط المدرسي، وهذه المدرسة تخرج فيها ابناء عمي وابناء اخوالي وجمع غفير ناهض من ابناء فلسطين، كان لهم الاثر الفعال في اذكاء الحمية العربية والانتفاضات ضد الاستعمار، ولم تكن تابعة لميزانية الدولة بل هي اهلية، سلخت ثلاث سنين في هذه المدرسة العظيمة كان لها التأثير كله على حياتي الثانوية، فقد كنت معروفا بخطابتي لدى الطلاب وبالحماس والسير في المظاهرات ضد الانكليز، ولا سيما يوم اعدموا الشهداء (فؤاد حجازي وجمجوم والوزير)، واذكر في هذه الحادثة ان ادارة المدرسة اغلقت علينا ابوابها الحديد وحصرتنا في داخلها الى ان اقبلت علينا مظاهرات الطلاب والشعب، وكانت سلطات الانكليز قد انذرت مدرستنا بالاغلاق ان خرجنا، فهاج هياجنا واخذنا نقتحم الابواب عبثا، وصعدت الى شرفة السطح لأقذف بنفسي على الجماهير، ومن فرط حماسي كنت ابكي، ومنعت وشاركني بذلك اخواني الطلاب، ورآني مديرنا (جودت حيدر) وهو من بعلبك فقال ما تستطيع فعله وحدك؟، هاك مسدسي لارى شجاعتك، فهممت باختطافه منه فجذبه وخبأه، ثم عدنا وتسلفنا سور المدرسة الشائك بعد ان دفعت مدرسي الشاعر ابراهيم طوقان من الصف، واشتركنا بالمظاهرة ضد الاستعمار واليهود، وخطبت في الشعب احبيهم، وكادت المدرسة أن تغلق لولا ان اكتفوا بتخفيض خمس درجات من سلوكنا، وفي سبيل الله ما نلاقي، افادتنا هذه المدرسة علما ورياضة، وتعرفنا الى الطلاب من فلسطين والمغرب العربي ، منهم الطيب بنونه واخوه مهدي ومحمد الفاسي.

وكان من مدرسينا فيها فضيلة الشيخ عبد الحميد السائح والدكتور عمر فروخ من لبنان والسادة قدرتي طوقان واکرم كمال وعز الدين كمال وعلي نويهض ونعيم خوري، وكان مديرها الاستاذ اديب مهيار وكان ضابط المدرسة السيد خليل خماش ولا ازال اذكر فراشها النشيط (امين)، وكان من اصدقائنا الطلاب فيها الدكتور عوني حنون واخوه حلمي والدكتور جودت تفاحة والدكتور احمد كمال والدكتور تاج الدين عرفات والدكتور ثابت دباغ والدكتور جواد ابو رباح والدكتور اشرف عبد الهادي والاستاذ اسعد عبد القادر والاستاذ محمود يونس والدكتور محمد ادهم والشاعر عبد الرحيم محمود والحاكمان داود ابو غزالة وجعفر هاشم، رحمهم الله احياءا وامواتا.

كانت دروسنا في هذه المدرسة اكثرها بالانكليزية ولاسيما في الصفيين الاخيرين لتعدنا بذلك الى (الجامعة الامريكية) في بيروت، وفي اخر سنة لي في مدرسة النجاح انتدبتني الادارة لالقاء خطاب المتخرجين في حفلة تخرجنا، وسلمتني نص الخطاب فلم اتقيد بخطابهم (وهذه مخالفة منى) فوضعت خطابا من انشائي وادخلت فيه بعض خطاب الادارة واثبتت في خطابي على مدرستنا وعززته بقصيدة طويلة لي مطلعها (1) :-

ما عاد شيء من الدنيا يواسينا  
الادماء العدا تروي مواضينا  
فغضبت المدرسة ومزقت شهادتي فبكيت اسفا وانتقدم كثيرون، رحم الله تلك الشهادة التي هي خلاصة عمري، وحفظ الله المدرسة وابقاها، وسامح الله الادارة.

اتممت مدرسة النجاح ورايت ان اعيد سنتي في لبنان رغم عجز ابي، وكانت شقيقتاي قد انتهتا تحصيلهما، وتوظفتا براتب حكومي في بلدهما جنين كما اسلفت فساعدني هذا بعض المساعدة، فانتسبت سنة ١٩٣١-١٩٣٢م الى الكلية الوطنية في (الشويفات) من قرى جبل لبنان، وهي المشهورة بكلية (القسيس سعد)، والقسيس سعد هذا، رحمة الله من كبار البروتستانت عربي عصامي ذو اخلاق عالية، ودأب وجلد متواصلين، يزدري بالشباب الكسول المتواكل، ويفرح للذي يسير على نهجة في تكسير الحطب بفأسه ويخدم نفسه بنفسه، دخلت المدرسة فانتخبني طلابها القدامى والجدد رئيساً لجمعية الخطابة العربية فيها، بعد خطاب ناري الهبتهم به في ساعة الانتخاب، وبعد ان علموا انني من فلسطين، فحياهم الله. وسرنا بجمعيتنا بنشاط نحوي حفلات الخطابة والشعر يشاركنا فيها فرسان الخطابة والشعر في الجبل وفي بيروت والطالبات الطموحات النابهات ك(فريدة غنمة) الاردنية، بارشاد مديرتها النبيلة الاميرة(اسماء ابي اللمع)، و(فريدة غنمة) هذه حياها الله، ستذكر حين تقرأ هذه النبذة المباراة الخطابية بيني وبينها مندوبين عن مدرستنا، وتذكر ان حججها الدامغة وآيات بلاغتها البينة لم تثبت امام حجتى وبياني امام لجنة التحكيم ورئيسها مدرسنا المشهور(امين حداد) حياها الله، وهناك ارتجلت بيتي المشهور مدفوعا بغروري الصبياني بعد ان حملت هي على حججي تريد الفوز وهذا هو البيت:

(فريدة غنما) فلتة الازمان  
جاءت تقاوم حجة (البرهان)

حيا الله فريدة واكثر من امثالها العربيات الناهضات.  
اني اذكر تلك المدرسة ونشاط مديرها استاذنا (شارل سعد) ابن القسيس الرئيس.  
لقد بهرني بهاء الجبل وشجره وثمره وطيره الغريد، وشاعره الشعبي (حرب) وشبابه الغر الميامين من (أل صعب) وغيرهم وصديقي الطيب (نجيب الحسني المحامي)، والمناخ اللطيف، ودوانى القطوف، وجليده في الشتاء وبهي روائه، وتضاريس ارضه، وجمال صحرائه وجلال بحره ولطيف صبابه، ورقة اهله، كل هذه اعجبتني ولا عجب(فبيروتها) كانت أقدم دور العلم، وكهوفها كانت ملجأ الحائرين والثائرين وأهل

(١) ضاعت هذه القصيدة.

الفكر، ولقد ودعت الكلية بهذه الابيات المطبوعة في ديواني(جبل النار):  
ايها الطائر المررد لحـني هجت شوقي ولوعتي فابك عنى

الى ان اقول:

عشت يا معهد العلوم طويلا لبلاد الشام خـمير مجن  
ولما انتهى العام الدراسي وولنا الشهادة الثانوية انصرفنا الى اهلنا وهديتنا اليهم الشهادة  
وبقلاوة(الصمدي والعريسي) وهي مشهورة (كمن السما) والتمر المحشو باللوز في  
العراق والكنافة في نابلس والكبة في الموصل، ورجعت الى جنين لاعدود الى الجامعة  
الامريكية في بيروت تلميذا خارجيا، ولبثت اياما ضيفا على ابن عمي فريز مدير المال  
في لبنان ووالد النجيبين صلاح وشفيق ثم استأجرت غرفة وانتسبت الى الجامعة  
وتعرفت فيها الى نخبة من طلابها منهم الاستاذ برهان الدين باش اعيان والدكتور محمد  
ناصر عثمان والدكتور عبد الحميد كاظم من العراق والاساتذة زهاء الدين الحمود  
وجريس قسوس من الاردن، وفريد برتقش وخليل ابو ريا وغيرهم من فلسطين ذكرتهم  
انفا، في تلك السنة اقام طلاب صفي (الفريشمان) حفلة التعارف المتعارف عليها في كل  
عام فالقيت ابياتا منها هذا البيت في ديواني:

ايها المجمع الذي لا يجارى كل طرف بروض غيدك حارا  
فضجت القاعة بالتصفيق والهتاف كعادة الطلاب في كل مناسبة وبعد مدة دعنتي جمعية  
العروة الوثقى التي دعنتي للحفلة السابقة لالقاء قصيدة في الجامعة، فالقيت قصيدة عن  
الشام احث فيها على الوحدة العربية ومنها:

وبكل ناد فتية ومحـجل	لك يا شام بكل ارض جحفل
ولك الفخار لك العلاء الأكمل	ولك اليراع لك الحسام وجنده
لكن جميلك لم يصنه مبجل	أسديت للنديا جميلا وافرأ
في وحدة مهما تناعى المنزل	يا ربع سوريا سلام اننا
اما دساتير الفرنج فتبدل	ذياك دستور العروبة ثابت

وقد نشرتها بعض الصحف في بيروت بعنوان (داعي الوحدة يناجي الشام وشباب الشام)،  
وفيها انتصر لسوريا على فرنسا وقد اغتاز الصهاينة والمستعمرون في الجامعة  
لمواقفي هذه و(شاغبوا) علي.

بينما كنت اتزهر في بساتين كليتي الشويقات بصحبة صديقي الكريم الاستاذ الحقوقي  
(اديب نجيب الحسني) سألني صاحب البستان حرب ان اسمع شعره الشعبي ترحيبا بي،  
فشكرته وانشد بالعامية:

يا طير بحياة الكريم خذني معك	جسمي ارق من النسيم شوبيمعك
قلبي تمنعني دموعك بالهوى	بلكي تبلل جانحي من مدمعك

وسألني ان انظمها بالفصحى فقلت بتصريف:

اطير الهزار بربك خذني	ابث غرامي الى من هويت
فجسمي رقيق كنفح النسيمة	عند الصباح فاني ذويت
فقال اخاف دموع الغرام	تبلل ريشي اذا ما نعيت
كفاني ضغط الهواء وحسبي	سهام الرماة اذا ما بكيت
فقلت كلانا حليف الهموم	فعطفا الهى وماذا جنيت!

واني لا عترف بان بيتيه انفذ الى القلب، وهذا طبيعة الشعر الشعبي وليد السجية.

ومما اذكر هناك في الجامعة درس الفلك ومدرسه (بروفيسور براون) فقد كان كثير من الطلاب لا يستسيغونه، وقمت مرة الى سبورة الصف قبيل دخول بروفيسور براون وكتبت البيتين التاليين:

هي الشمس والاقمار والنجم والسهي      تدور حوالى عقلي المتمرد  
ايا(براون) ان الثور قرناه انهـكا      فكيف بأنسان رقيق مجرد  
ودخل الاستاذ وترجم له الطلاب المرحون الشعر، فأطرق ثم قال من كتبها؟ فوقفت اجلالا  
له لانه مدرسي، فقال لي، الشاعر نصف رجل فاجبته بلغته الامريكية بدافع حرية الراي  
لا الوقاحة، لان للمدرس مكانته، اذا فالفلكي نصف رجل لان الشاعر والفلكي يسرحان  
يفكرهما فقال مبتسما برهن على ذلك فقلت انا البرهان، فضحك الطلاب.  
ومررت مرة بلاعبات التنس في الجامعة يقفزن كالدمي على الكرة فتتحرك معهن ثديهن،  
فدفعني صديق لي شقي بيده وقال، هنا مسرح الشعر فأجبته: انا يا سيد انظر الى الفن لا  
الى القشور، ثم ارتجلت هذين البيتين لا ظهر له عبقرיתי الشعرية (الموهومة).  
بفؤادي الفتاة تلعب تنسا      بدلال تميمس ثديا وخصرا  
ان تهادت (بركتها)<sup>(١)</sup> خلت ثديا      مل من خصرها النحيف فقرا

من مساوي هذه الجامعة انها تؤيد الصهاينة، وانها وكر للعملاء ضد العرب المسلمين،  
من ذلك ان محاضرنا(جورج ابا شهلا) تعرض في درس التاريخ الى قصة  
السيدة(عائشة) في حديث الافك فاحتججت وبعض الطلاب عليه لان هذا الموضوع ليس  
من مواضيع التاريخ فغضب، واليك مثلا اخر، تقدمنا كمسلمين بطلب خطي الى ضابط  
المدرسة (نيكولي) الدب الابيض، لتسمح لنا الادارة بالاحتفال بعيد مولد رسولنا الكريم  
محمد عليه الصلاة والسلام، فرد طلبنا بالرفض على غلاف الرسالة لا على ورقة اخرى،  
وعلق الغلاف على الجدار ليقرا الرفض المهين طلاب الجامعة، فرغ الطلاب الامر الى  
فضيلة مفتي لبنان، فأحتج بدوره الى رئيس الجامعة (الرئيس دودج) فألغى هذا بدوره  
رفض (نيكولي) وهنا المسلمين بعيدهم وعلق كتابه مكان الرفض لنغيظ بدورنا  
الدين(نيكولي) وخرجنا جماعات الى (نهر الكلب) في ضواحي بيروت، وخطبت في  
الطلاب.

## نكبة دراسية جديدة!

في الجامعة انهيت السنة، فانتدبت عضوا في لجنة اصلاح القرى في قضاء (رام الله) من  
اعمال فلسطين، ورسالتنا هذه تتخلص في توجيه اخواننا في القرى وجهة خير وبر  
واحسان ونظافة، فاجتمعنا اليهم مرات وشرحنا لهم اهمية النظافة، وعرضنا عليهم  
اشرطة سينمائية تمثل نتيجة اهمال النظافة والغسل والكنس.. الخ، اما انا فاخترت ناحية  
التاريخ اشرح لهم منه تاريخ امتهم، وكيف سادت قديما بجمع الكلمة والاخلاص وتفهم  
الدين والعمل المثمر، والتعاون واصلاح الارض والاعتماد على النفس لا على الاجنبي

(١) (الركت) هو مضرب التنس.

والمستعمر، وافهمتهم اني ارجو ان تقوي مثل هذه المؤسسات الطبية بتدبير اهل البلاد لا الاجانب لان الاجانب يدسون السم في الدسم، كما رجوت للبلاد العربية جامعات دراسية عربية خالصة، وأن لا يبقى فيها أثر لمدارس التبشير والاستعمار، لانهما تفسدان العقول والضمائر، لقد قمنا بواجبنا الوطني في هذه الحملة عكس ما اراده مدير معارف فلسطين (بومن) الذي اعلن انه المشرف على لجنتنا هذه فبادرت الى تكذيب قصده وتسفيهه في الصحف تسفيهها حمله على الشخوص الينا في احدي القرى وقد علمت بذلك قبل مجيئه ، اعلمنيه المرحوم (شريف صبوح) مغتث المعارف فتأهبت له، فجاء (بومن) وعاتبني بلهجة الامر ودفعني بشدة في صدري فرردت عليه الالهانة بدفعة مثلها، اهنته، فحجز بيننا الاستاذ (رجائي الحسيني) استاذ الجامعة، بكل رقة ولطف، وعاد (بومن) الى سيارته أملاً أن أسعى لتوديعه مع الطلاب المودعين المتملقين، وحاشا لبرهان الدين العبوشي العربي ابن العربي والعربية والاسلام ان يتزلف لعدو البلاد مهما بلغ الاذى، فلم اتقدم رغم ان في صحبته (بروفيسور كلوز) مدرسنا الأمريكي ورجائي الحسيني، واحترمت نفسي ، فترك هو سيارته ومودعيه، ومشى الي مسافة مائتي متر ليعتذر لي عما بدر منه، وهو الشيخ المسن وانا التلميذ الشاب، ولم اعتد بهذا اللطف لان البريطاني بطبعه مستعمر غدار، وقد صح ظني في غدره بي بعد ذلك، وبعد ان دس ضدي في الجامعة وغيرها، ولما احيل على التقاعد واعلن سفره ودعته بمقال لاذع عنوانه(الهانة الصيف يغسلها الربيع)، ونشرتها احدي جرائد السيد (ابراهيم الشنطي) فكانت اسوا ما ودع به حاكم مستعمر، على ان هذه المواقف الوطنية البت علي جماعة المستعمرين واذنابهم في فلسطين، فتعذبت بسببها عذابا عبقريا لا ازال ائن منه الي اليوم اذ حرمت اتمام التحصيل، وجعلتني الجامعة مكمل في درس التاريخ مع انهم اعلموني خطيا اني ناجح، وفي اخر عطلة الصيف اعلموني انني مكمل بدرس العلوم العامة لا التاريخ، وقصدهم بذلك ارباكي والانتقام مني.

اعتمدت بعد ذلك على نفسي، التهم الكتب التهاماً واذ بي اصبح ذا نتاج ادبي شهد له الكثيرون، ودرست في المدارس التي يدرس فيها اصحاب الشهادات، والان وانا استنسخ مسودة الكتاب في ١٤ نيسان سنة ١٩٧٧، مدرس متقاعد امك مسرحياتي الشعرية (وطن الشهيد) وهي اول مسرحية من نوعها، ثم (شبح الاندلس) ثم(عرب القادسية) ثم (ديوان جبل النار) ثم(ديوان جنود السماء) طبعته بالرونيو وها انا استعد لطبع مذكراتي هذه " من السفح إلى الوادي أربي صوت أجدادي " معتمداً على الله جل جلاله وتعاليت أسماؤه وعمت بركاته متوخيا الحق في خدمة امتي ووطني وديني، وفي هذا الكتاب الاخير بعض جمل زدتها في النسخ وحذفت بعضها.

## جهادنا الثاني

لم اتمكن بعد من مواصلة طلب العلم في المدارس لقلّة المال وحاولت ان اطلبه في الجامعة السورية فلم اوفق لفوات وقت التسجيل، وفي طريق عودتي من الحدود السورية ليلا في السفارة الاولى، اصطدمت سيارتنا الكبيرة على شاطيء بحيرة(طبريا)

بسيارة اخرى صغيرة فجرح الراكبون وشطر لحم ذقتي، فأسعفني الطبيب في طبريا، وبت في بيت احد اصدقاء ابي الذين عرفوني فاسعفوني، وعدت الى (جنين) معصوب الرأس والعين، سلخت عاما بلا عمل وكنت كلا على والدي، والحسرة شهد الله- تأكل قلبي- ، فقد شعرت بالنقص والصغار لاتكالي على البيت، كنت امشي في الشارع فأحسب الناس كلهم يسخرون من كياني لاعتمادي على والدي، فأظلمت الدنيا في عيني، وايقنت ان الحياة كلها هم وبؤس وشقاء وأسى، إذ لا مورد لي الا جيب ابي على انني لم افطن الى ان جيوشا جرارة من شباب فلسطين المثقفين، كانوا مثلي بلا عمل، وان السلطة البريطانية كانت تعتمد ايداء شباب العرب بسد سبل العمل في وجوههم، لتفي بتعهداتها لجمعية الامم وصك الانتداب بافقار عرب فلسطين، وقتل اقتصادهم ليسهل على اليهود شراء ارض العرب، والسيطرة على فلسطين.

هذا وقد كنت ادعو الله سرا الا يكتب علي الوظيفة في حكومة الانتداب، وقد استجاب تعالى دعائي، وظللت منكبا على كتبي وهمي وقهري، واهلي مشفقون علي، الى ان سمح لي بالتمرن في (البنك العربي) في القدس تمهيدا لتوظيفي في المؤسسات العربية الاخرى، وكان تعرفي الى مدير البنك العام احمد حلمي باشا هو يوم ذهبت وفضيلة مفتي جنين الشيخ اديب الخالدي المخزومي وابن عمي الاستاذ فهمي العبوشي رئيس بلدية جنين انذاك للسلام على الامير شكيب ارسلان والرئيس هاشم الاناسي في قرية (الشرفات) في القدس حيث القيت قصيدة هناك وشكيب ارسلان مجاهد واديب كبير واخوه الامير عادل مجاهد مثله وشاعر، ومن شعره يصف التجاهه والتجاء الثوار بخيلهم الى (النيك) جوعى:-

طال انتظاري للنهار الصبح	ماذا على الاجفان لو تستريح
شرار فحم الليل لا ينطفي	كأنا هـبت على الليل ريح
وصافنات صائمات لنا	عهدي بها تغتدي أو تروح
كل رغيف حوله سبعة	كأنا صلى عليه المسيح

ولقد توفى الشقيقات ورثت الامير شكيب بقصيدة القيتها في سينما الحمراء في يافا في احتفال اربعينه، وكان ممن القى نثرا الاستاذان قذري طوقان وعجاج نويهض، كما القى صديقي الشاعر محمود الحوت شعرا.

عينت في(البنك) في طبريا امينا للصندوق براتب متواضع ثم نقلت الى القدس بسبب خلاف بيني وبين مدير بنكنا في طبريا صدقي الطبري لاسباب ذكرتها في صفحة سابقة، واذكر كلمة بنك بدل مصرف لان اسم المؤسسة كان بنكا وقبيل نقلني الى القدس استشهد المجاهد الشيخ عز الدين القسام فعرجت على مدينة بيسان لاسهم في تأبين البطل القسام بقصيدة وشيخنا القسام رحمة الله كان اول من قام بثورة مسلحة في جبال جنين وكان طليعة الجهاد وموقد نارها في جبال جنين الغربية، وقد رثيته بقصيدة سيجيء منها ابيات بعد صفحات من هذا الكتاب.

## ثورة سنة ١٩٣٦م في فلسطين

انتقلت الى القدس كما قلت، ونفوس العرب يأكلها الغيظ حقدا على المستعمرين، وفي سنة ست وثلاثين وتسعمائة والى ميلادية نقلني الباشا محاسبا لشركة انقاذ الاراضي

العربية من اليهود في القدس وهي تابعة للمؤتمر الاقتصادي العربي، ثارت فلسطين وثار طلاب القدس وزحفوا الى البناء الذي اعمل فيه، فخطبت فيهم والقيت الشعر الملهب، وفتحت لهم خزائن قلبي وخزائن الورق والحبر دون اذن من (الباشا) ثم سرت امامهم في مظاهرة صاخبة يواكبهم العمال وابناء الشعب، والى جانبي صديقي جميل وهبه مدير دار الايتام الاسلامية، وانحدرنا الى باب العمود في طريق ضيق من مدينة القدس واذ بنا تفاجنا رشاشات الانكليز في باب العمود يقودها ضابط يهودي فأخرس الشعب مسدسه وفر الضابط وجاءت الشرطة من خلفنا بالسلاح والعصي الغليظة، وحصرونا بين نارين (ساندويش) فاندفعنا الى الامام نقذف الرشاشات بالحجارة، وكان ثمة امرأة بدوية هجمت على الرشاش تريد انقاذ ابنها من الموت ونجت بأعجوبة، وتفرقنا ونجحنا في افهام الانكليز ان شعبنا الاعزل لا يهرب للسلاح في يد الظالمين الطامعين، وبدأوا يبحثون عني ثم قررت هينتنا السياسية ورئيسها المفتي (الحاج امين الحسيني) ان تضرب البلاد عن العمل الى ان يرضخ الانكليز، ولكن الانكليز ركبوا رأسهم بتحريض الغرب واليهود، ففتحوا السجون لترهبنا واستمر اضرابنا ستة اشهر كاملة لم يفتح فيها عربي في فلسطين متجره، ورضينا بالافلاس والموت جوعا تلبية لدعوة الوطن، واهتز العالم بأسره لهذه النكبة والصبر والجلد، ولكن ضمير المستعمرين لم يتحرك.

وهنا نشط الشباب وثار دمه فأخذ كل يعمل في ما يعهد اليه من عمل تنظيمي وثورى في سبيل الله، لاعلاء كلمة العرب، فلقد ذهبت وجماعة من شبابنا المثقف الى محطة القدس الحديدية، والقينا قارورة فيها فوسفور لاحراق الخشب المكس هناك ، ثم ذهبنا الى جبل الطور في القدس لنسف جسر السيدة مريم بين القدس ومدينة اريحا، اما انا فكنت خلفهم لضعف بصري فنسف جماعتنا قسما منه وجبن حيالنا حراسه الانكليز فاغلقوا باب غرفتهم، وفي ليلة اخرى ذهبنا الى (عرب السواحر) قرب البحر الميت، واقنعنا شيخهم بنوايا العدو ورجعنا الى القدس بعد منتصف الليل ومررنا بمقبرة اليهود وكان القمر مطلا علينا، وقوى الانكليز المستطلعة تعكر صفو الليل، فانعكس ضوء القمر على نصب المقابر فظنناها جنودا لولا ان سارع احدنا واكتشفها لنا، وفي الصباح عدت الى البنك فاستغرب الباشا "المدير العام" غيابي اياما دون علمه واطلعتني على الورقة التي كتبت فيها اسمي للشيخ ليظمنن وليتأكد الشيخ من شخصياتنا، ثم جاءني نفر من الاخوان وطلبوا ان اخطب الناس في المسجد الاقصى المبارك، فذهبت مرات كثيرة رغم الحكم العرفي، وافرغت جعبتي الادبية فيهم، فثاروا ثم سرقتني اخواني المجاهدون واخفوني في بيت احدهم تضليلا للانكليز واشاعوا ان هنديا خطب في المسجد ليضللوا بذلك الشرطة عني.

تعرفت بعدها الى صديقي المجاهد عبد القادر الحسيني (رحمه الله) فتفاهمنا واخذني الى بيته حيث يخفي السلاح ويوزعه، ودلفنا بعدها الى المسجد الاقصى المبارك وارتجل كل منا خطابا الهبنا فيه الجماهير، فانسحب سماحة المفتي والباشا احمد حلمي والاستاذ عزت دروزه من التجمع لمجيء المجنونين برهان وعبد القادر. وبعد ايام حُبب الي السفر الى غزة لاثارة اهله، واهل غزة ثائرون بالطبع فسافرت وصحبني صديقي عبد القادر الحسيني فذهبنا الى محطة سكة الحديد وفي يده صحف

مصرية اخفى فيها مسدسا صغيرا وفتشنا الانكليز ونسوا الصحف، وركبنا القطار الى غزة، ونزلت في غزة فلم اجد عبد القادر فاستغربت وسألت فقيل لي انه نزل في الطريق الى قرية اهله (ادنبه) دون اعلامي فأسفت لهذه البادرة الخاطئة فبقيت وحيدا في بلد لا اعرف فيه احدا فدخلت المسجد في يوم الجمعة فوجدت هناك رجال اللجنة القومية متناحرين بسبب الزعامة العائلية فعرفتهم بنفسي فرحبوا بي كثيرا، ثم خطبوا في المصلين وقدموني اليهم فخطبت واعلمتهم انني (عبوشي) من الشمال جئت احمل اليهم تحية اخوانهم المجاهدين هناك، فثاروا وهموا باقتحام الابواب ليمزقوا مدرعات الانكليز المسلحة المتربصة بهم في باب المسجد، واعلمتني اللجنة القومية ان المصلين عزل من السلاح وان المدرعات ستحصدهم فوقت كرة اخرى وخطبت فيهم ليلاقوا العدو على نظام وتعبئة عملا بقول الله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) ففعلوا وكان ذلك خيرا لهم، واخذني جماعة من آل الحسيني ضيفا عندهم، وزارني هناك رئيس البلدية فهمني الحسيني رحمه الله، كما واحتفت بي اللجنة القومية.

كان من رجال اللجنة القومية الصديق الوجيه موسى الصوراني وهو وطني معروف ورشدي الشوا وعاصم بسيسو وكلاهما وجيه معروف وبعد ايام اقام اهل غزة احتفالا شعبيا ثوريا كبيرا في قرية المسمية الكبيرة وطلبوا الي ان افتتح الحفل بخطاب فوقفت فشرحت لهم نوايا الانكليز واليهود واننا بين امرين اما الجهاد على نظام وتعبئة واتحاد الكلمة ونبذ العائلية والخصومة فنبقى سادة على الارض لا نفرط بشبر منها، واما الفناء والتشريد والشقاء الابدي، وبينما كنت اخطب حامت فوقنا طائرة بريطانية تهددنا فصرخت في القوم ارأيتم كيف يهددوننا بالفناء؟ انهم يستكثرون علينا ان نجتمع هنا عربا اخوانا نتفقد احوالنا ونجمع شملنا وندفع الضيم عنا ويسمحون لليهود ان يهاجروا الى بلادنا الوفا مؤلفة تحمل معها الحقد والجشع والفناء العاجل لنا، قلت هذا واكثر منه فهاجت ضمائر القوم واشتعل الفضاء رصاصا من بنادقهم واذ بجماعة اللجنة تسرع الي وتحملني الى سيارة فيها الاخ الوطني "محمود علاء الدين" من الرملة، ويفرون بي الى قرية (ادنبه) خوفا علي من الشرطة التي هرعت لتقبض علي وفي (ادنبه) قضيت عند اقرباء الاخ عبد القادر الحسيني يومين واعتذروا لي لترك عبد القادر اياي في القطار بسبب فجائي.

برمت من القعود هناك بلا عمل، فذهبت الى يافا وزرت جريدة الدفاع فأعلمني صاحبها الاخ ابراهيم الشنطي ان الشرطة جادة في التفتيش عني فأدركت ان الانكليز عمموا اوامر القبض علي فتحولت الى (الرملة) ثم الى القدس واذا بشابين يركبان دراجتين وفي يديهما عصوان طويلتان غليظتان يطلبان مني الفرار لان الشرطة تتعقبني، فشكرتهما وحررت أين ان اذهب، فلا نقود معي والطرق قطعت بالجنود، والسيارات مضربة عن السير، والقدس ليست مدينتي؟.

فهمت ان اخطر بمقابلة أحمد حلمي باشا (مديرنا العام) فطلبت ان يمدني بثلاثة جنيهات من راتبي لانجو بنفسي واشتري الطعام فهاج رحمه الله وقال: (الجدار يا اخي الجدار له اذان تسمع)، واخذ ينقر على الجدار، فهمت انه يخشى الشرطة وهو ذلك الزعيم الشجاع المشهور، فأسفت وانسحبت اسفا، واذا بابنه محمد عبده مديرنا الثاني يعلمني بأن الشرطة اكتشفتني وهي متربصة لي في اسفل درج البنك فلم اصدق وحاولت

الفرار واذا بالضابط المسؤول واقف في اسفل الدرج وتقدم بطلب وصافحني وكلفني ان اسير معه الى خياط مجاور ولم اكن اعلم انه مكلف بالقبض علي ولا سيما انه ابن بلدي وصديق صباي بل اعز صديق لدي، انه (اسعد كمال السعدي) الذي فصل من عمله كمفتش شرطة لوطنيته، سرت معه الى الخياط وقلت لنفسي ساحتمي به ريثما اجد لي مهربا ولكن اين المفر ولا مال ولا سيارات ولا اهل لي في القدس ولا لجنة تمدني؟ ولا خير في جهادي اذا لم ابذل من مالي، دارت بي الدنيا وانا اسير مع صديقي الضابط بلا وعي واثقا بوطنيته، واذ بي في القشلاق ومذكرة القاء القبض جاهزة فعلمت ان صديقي كان خجلا وفي حرج من امر القائه القبض على صديقه بل اخيه وكان يود تركي كما قال ولكن ساقع في يد غيره المتربصين ثم جعلني في سيارة مكشوفة لاسلم مفاتيح مكتب الشركة ولانام في سجن القدس.

رجع صديقي الى تكنته، وقد اسف الناس كثيرا وامضيت يومين في سجن القدس لم تتفقني فيه لجنة وطنية ولو بسؤال لحراجة موقفها او لظلم الانكليز واذ بالسجان يصرخ باسمي فخرجت واذا بالضابط البريطاني يصكك باسنانه وينذرني بأنني نفيت الى (عوجا الحفير) في حدود صحراء سيناء، فاعتقدت ان ثمة جماعة قد سعوا ليكون الحكم ضدي فلما احفل فقد كنت وضعت الموت امام نظري في سبيل بلادي ولم اكن انتظر من لجان القدس الوطنية او من الزعماء كسماحة المفتي والباشا اي اسعاف مادي وان كنت تحملت الجوع اياما والافلاس المادي مدة طويلة، تحملت الارهاق اثناء ذلك وبعده مكتفيا بحب الوطن، اقله هذا لنلا يتبادر الى الذهن بأن جهادي شابته معونة او مساعدة وهناك كثيرون ينقطعون عن خدمة وطنهم حين تنقطع عنهم رواتب اللجان فكأنهم موظفون لا وطيون علما ان مساعدة الوطنيين للمجاهدين فرض لا غبار عليه لان الفرد لا يمكنه ان يعطل عمله ويتفرغ لخدمة وطنه الى الابد دون مساعدة اهله واطفاله و(يد الله على الجماعة).

## المعتقل (عوجا الحفير) ثم معتقل (صرقند)

في القدس حملتني سيارة(البوليس) الى مدرسة (البوليس) فالفيت هناك من الزعماء عوني بك عبد الهادي وفخري بك الناشيبي وجماعة آخرين اعتقلوا لينفوا الى (عوجا الحفير)، اما عوني بك فهو سكرتير الملك فيصل الاول يوم ذهابه الى (باريس) و(جنيف) للتفاوض من اجل العرش والتوقيع على اتفاقية حول ذلك فيها نص يضر بقضية فلسطين ويفيد اليهود، وقد فضح هذا النص احدى لجان التحقيق البريطانية التي قدمت الى فلسطين للنظر في مطالب العرب، وقد وجه رئيسها السؤال الى (عوني بك) يستفسر فيه عن هذه الاتفاقية، فأيدها عوني بك وايد وجود النص المذكور الذي كان يجهله الملك وبرر توقيع الملك عليها بانها كتبت بالفرنسية التي يجهلها الملك، فسأله الرئيس ساخرا، لقد كنت سكرتيره الامين وانت تجيد الفرنسية، فلماذا لم تنبهه اليها؟ فسكت ولم يحر جوابا، ثم اضاف لقد احتاط الملك فيصل بان كتب في ذيلها بالعربية ( على ان لا يكون فيها ما يمس اقطار العرب بسوء ولا سيما فلسطين).

بهذا المعنى اجاب عوني وهو مرقوم في كتاب قرأته عن لجان التحقيق في فلسطين، ومن الناحية الثانية فان عوني بك كان من الذين ساهموا في الحركة الوطنية مع المفتي الحسيني واحمد حلمي باشا وعزت دروزة وغيرهم.

إن الزعامات العائلية والقبلية معول هدام يفتك بالوطن مادام شعارها الانانية وقد عرف عني انني اكرهها من صميم قلبي، وادعوا الى الاتحاد والتضامن شعبا واحدا، واذكر هذا للعبرة اما فخري النشاشبي فقد قتل في العراق سنة ١٩٤١.

لم نجد من يطعمنا في مدرسة (البوليس) في القدس، ونبهني احدهم الى ان ابن عم لي نور الدين (ابا عصام) هو ضابط التدريب في المدرسة فلم لا استنجد به؟، وحال سماعه بخبر وصولنا جاء وأمدنا بكرمه الحاتمي من خلف النوافذ، ثم اركبونا السيارات المكشوفة واركبوا عوني بك في سيارة قائد القافلة البريطاني، فاحتج (فخري بك) فاركبوه حيث اراد على امتعة سفرنا في سيارة منفردة، وفي العصر تحرك موكبنا الى (عوجا الحفير) عن طريق مدينة الخليل، فامسى علينا المساء هناك ولم تقف القافلة وكانت تحرسنا المسلحات البريطانية من امامنا ومن خلفنا ومن بين ايدينا وقد علمنا بان جماعة اخواننا الوطنيين سيقطعون عليهم الطريق بالسلاح لتحريرنا، كما قطعوها في اليوم الذي قبله، ولكن شيئا من هذا لم يحدث وادركت انهم اركبونا سيارات مكشوفة لنكون هدفا لرصاص المجاهدين فيستريح البريطانيون منا.

ها نحن اولاء في وسط الصحراء، وهي ممر اجدادنا الذين فتحوا فلسطين ومصر، ها نحن احفادهم نعبرها مكبلين وهم عبروها احرارا مكرمين، ما ابعد الفرق بين المشهدين!، وما اشد الم المقارنة!، ها هو نسيم الليل يهب كصبا نجد، انه نسيم المعتقلين نسيم نجد، نسيم العشاق والاحرار، ما اشد الم الذكريات، من هنا كان اجدادنا يطاردون فلول الروم وغير الروم، وها هنا يطاردنا احفاد الروم والصليبيين وأذناهم الصهاينة، ولكن لا بأس فقد نشابه اباينا في القصد والغاية، فلسنا مخنثين والقيد في معصمنا وان اختلفنا بالنتيجة، سرنا وسرنا وما زلنا نسير حتى نزلنا في رمل غير ذي زرع ولا بشر عند (عوجا الحفير) لنقيم بعيدين عن الاهل، وعزاؤنا الوحيد اننا لازلنا في وطننا، ولم نخرج منه، وهناك التقينا بزمرة اخرى من اخواننا الكرام منهم المحامي جمال حميد والاخ اكرم زعيتر والاستاذ قدرى طوقان والاخ صبحي الخضرا المحامي والاخ المحامي راشد الجيوسي والمحامي حسن صدقي الدجاني وغيرهم من اخواننا المحترمين فتم أنسنا وكان البدو الكرام قد تبرعوا لنا بغنم كثير نقتات به رغم بعد مضاربهم عنا، كما دلفت علينا وفود (بئر السبع) يواسوننا ويسعفوننا، وكان منهم صديقي الدكتور (سعدى بسيسو) الذي اسعفني (بقمباز) من قماش (الروزا) لاختفف به عني من حرارة الصحراء.

نحن الان في عوجا الحفير، وهي محطة سكة حديد تركية قديمة تصلها بعريش مصر حسب علمي، كنا نقطع الليل بالاناشيد حتى تكل حناجرنا، وبالقصص والنوادر حتى ندوخ نعاسا فنرتمي على الفراش حتى الصباح، فنستفيق على النسيم العليل وهو رسول الابرار الى المعتقلين الاحرار، نستفيق ونتوضأ ونصلي، ثم نسرح مدى الصحراء احرارا من الحرس.

وفيم نحرس ونحن في وسط صحراء التيه؟ وهل يطيق منا احد أن يفر والى اين؟ بقينا هكذا مدة ونحن نحرق صدورنا غيظا على الاستعمار واذنابه واسفا لعودنا مكرهين، واخواننا يقارعون العدو في رؤوس الجبال، واذا بصدري يكاد ينشق والدنيا تدور بي وكم جرفني الحنان لذكرى الفاتحين من امتنا المجيدة، وكم سرح فكري في تلك الاجواء المديدة!، كنت اقول أن اجدادنا على بساطتهم وحرمانهم من العلم واللذات خير منا على ثقافتنا، لقد هذبهم القرآن الكريم كلام الله جل جلاله وتعاليت اسماؤه وعظمت بركاته، فالوطنية الصادقة في الأمي المخلص المؤمن تنتج والتواكل في المتعلم المنتفخ المغرور يهدم، متى الخلاص؟ أنشرد نحن في الافاق لينعم الغريب من مستعمر ويهودي دخيل بنعمة ارضنا وسمائها الصافية؟ لن يكون هذا وفينا عرق ينبضن لقد ضاقت بنا الصحراء ذرعا، فهي لم تعهد من اهلها عربا يننون ويضجرون بل فرسانا يغمرون ويستشهدون ويمثلون بقول الشاعر :

ان تبتدر غاية يوما لمكرمة  
انا لنرخص يوم الروح انفسنا  
وتلق السوايق منا والمصلينا  
ولو نسام بها في الامن اغلينا  
وبقول الشاعر :

ولست ابالي حين اقتل مسلما  
وبقول شاعر آخر:  
على اي جنب كان في الله مصرعي  
واثبت في مستنقع الموت رجله  
وقال لها من تحت اخمصك الحشر

## الى معتقل صرفند

لم يطل مقامنا في عوجا الحفير، فقد أحست السلطة ان اخواننا البدو ثارت في رؤوسهم حمية العروبة فصمموا على تخليصنا من الاسر والفرار بنا الى البلاد الشقيقة المجاورة بقوة السلاح، فارتجف الانكليز لهذا الامر والشاعوا بيننا انهم سينقلوننا الى (صوفند الخراب) بين مدينتي (اللد و يافا) وزعموا انهم اعدوا بيوتا مترفة وسررا مرفوعة وزرابي مبنوثة ونمارق مصفوفة وجنات تدر لبنا وعسلا، كأن المجاهد يغريه التنع، وما علموا اننا نتمثل بقول الرسول الاعظم: (اخوشو شنوا فان الترف يزيل النعم)، وبقول المتنبي:

يرى جسمه يكسى شفوفا تربه  
فيختار ان يكسى دروعا تهده  
واقبل الليل واذا صحراء الابل تعج بسيارات الانكليز ومدركاتهم وجنودهم كأنهم في حرب (رومل) النازي، واركبونا وطاروا بنا الى (صرفند) فودعنا صحراء الفتوح وما فيها من دم مجبول ورفات عرب دفين، فما كنت ترى الا مدافع مشرعة وسيارات مسرعة لا اول لها ولا اخر ونحن لا نتجاوز الخمسين عدا، واشرقت الصحراء بالاضواء تبعثها سيارات الغدر لتكشف الطريق خوفا من جماعة المجاهدين ان يقطعوا عليهم الطريق، فيدقوا انفوفهم اللنيمة الشامخة، واذكر أنني كدت أموت في السيارة بسبب (حصر البول) ولم تكن السيارات لتقف في الطريق خوفا من المجاهدين لكنها وقفت مرة فانقذت نفسي من البول باعجوبة.

وصلنا (صرفند الخراب) فالفيناها خرابا كأسمها ووجدنا انفسنا هناك في ما يشبه اصطبلا خشبية طويلة، كل (قاوش) يستوعب اثنين واربعين منا، ووجدنا هنالك

بعض اخواننا المعتقلين فقتعنا بالموجود طالما كان هدفنا ان نستشهد، وكانت تحيط بكل قاووش اسلاك شائكة على بعد مترين او ثلاثة من جهات القاووش الاربع. حشرنا هنالك على اختلاف مشاربنا وعاداتنا وثقافاتنا، فرضينا بالحياة اخوانا، يجمعنا وطن واحد وغاية واحدة رغم انف المدسوسين بيننا، كنا نتبادل احاديث الجهاد وننشد، وكنت ترى بيننا عمائم رجال الدين والقضاء وفلاتس رجال الكنيسة جنبنا الى جنب يعبدون الله ويخدمون الوطن وقد فشلت فيهم محاولة الاستعمار التفرقة، كان العربي اذا استشهد يحمله الشعب الى المسجد والكنيسة في آن واحد ويختلط صوت المؤذن برنة الناقوس لان الله للجميع والوطن هبة من الله جل جلاله.

وفي (صرفند) لي شعر منشور في ديواني ( جبل النار ) منه هذا البيت:

(صرفند) معتقل الاسود جنناك نرفل بالحديد

نزلنا (قصورنا) الجديدة في (صرفند) فدلقت وفود المدن تحيينا وتنفحنا بالعواطف والهدايا في كل اسبوع، وقد كتبت الى والدي (رحمه الله) ارجو منه ان لا يعذب احد نفسه بالسفر الطويل لزيارتي واكتفيت بشقيقي (حسنى) الذي كان يدير احدى المزارع القريبة مني حيث كلامنا كان الاشارة بيننا، عجت بنا المعتقلات وكنا الوفا، واليهود يضحكون ويمرحون وجنود الانكليز حولنا شاكى السلاح لا يفصلنا عنهم الا الاسلاك الشائكة وكان بعضنا يقدم لهم كأس الشاي على خشبة طويلة يمدها اليهم فيشربون ثم يستمعون الى قضيتنا ويناقدون فينقلب بعضهم على حكومتهم، وقد سجن بعضهم، ومنعوا من التحدث الى المعتقلين لئلا تفسد (اخلاقهم)، وفي احد الايام دخل علينا الضباط والجنود الانكليز مشهرين سلاحهم مهديدين واخرجوا بعضنا ليعاقبوهم جزاء قيامنا بمظاهرة خطابية في المعتقل اسقطنا فيها الانكليز ووعد بلفور بالكلام، وكان من الذين يخطبون السادة عجاج نويهض وعبد المطلب فضة واكرم زعيتر وانا الفقير الى عفو الله ورحمته وكنا كلما ضجرنا اقمننا سوق(عكاظ) وهزنا الاسلاك فيتوهم الجيش البريطاني اننا هاربون لامحال، فيجن جنونهم ويطوقون الاسلاك وينصبون الرشاشات ونحن نضحك منهم، واذا ضجرنا من الخطابة انصرفنا الى تقشير البصل والبطاطا وغسل المواعين والى الطبخ والتنظيف نخدم انفسنا بانفسنا، وكل له شغله الخاص به وقد ذكرت لمحة من حياتنا هذه في مسرحيتي الشعرية الاولى (وطن الشهيد)، وكان رئيس الطباخين بيننا (نبيه بيك العظمة) المجاهد السوري المعروف، فقد التجأ الى وطنه الثاني فلسطين اثر الثورة السورية على الفرنسيين كما التجأ اليها اخرون من كرام اخواننا السوريين، منهم السيد شكري القوتلي وقد حفظ له وطنه حقه فنصبه رئيسا لجمهوريته الشقيقة سوريا ومنهم سعيد بيك العاص القائد العربي المغوار ولم يكن معتقلا معنا بل كان يجاهد في جبال(الخليل)، واذكر انني صادفته يوما في باب الخليل في القدس قبل جهاده وهو في ثوب يرثى له، فحزنت جدا ثم طلب ان أساعده بقرش ونصف ليشتري سكاير، فصعقت لهذه النتيجة وتمنيت أن يكون لدي مال الدنيا لا قيل به حاجة هذا المجاهد الكريم وطفرت من عيني دمعة اذ ادركت ان نتيجة المؤمنين المجاهدين في بلاد العرب الذل والفاقة وتكفف الناس كما قال السابقون المطاردون:

ليوم كريةة وسداد ثغر

اضاعوني واي فتى اضاعوا

على ان هذا البطل استشهد بعد ذلك في معركة جبال الخليل قرب (الخضر) فختم حياته بخاتمة طالما تمنيتها، ورثيته من المعتقل سنة ١٩٣٦م بقصيدة خاطبت فيها ابنته سعاد اليتيمة مطلعها:

امك الشعب والشباب اخوك  
يالبنة (العاص) والبلاد ذووك  
وقد نشرتها الصحف وتجدها في ديواني (جبل النار)، كما تذكرت نكبته ونكبة امثاله من المؤمنين الصابرين، اضفتها الى مصيبة اخواني لاجيء عرب فلسطين وما يلاقونه من حرمان ، وما يسمعونه من سباب من الشعبيين ومن لف لفهم، اجل تهون علي المصيبة اذ اعتبرت بمصير سعيد العاص واخوانه الابرار.  
الا ان هؤلاء كنا نرفعهم على الرؤوس، ولطالما اشاد الرئيس شكري القوتلي وغيره بنخوة عرب فلسطين ووجدتهم اياهم، يوم هاجروا الى فلسطين في سبيل الله.  
ان فلسطين على صغرها كانت تعج بألوف الاخوان من الاقطار الشقيقة، ولا سيما لبنان وسوريا، يوظفون ويعملون دون ان ينكر العربي الفلسطيني ان هؤلاء يزاحمونه عيشه، بل كان يفتح لهم ابواب داره، ويفضلهم على نفسه لان بلاد الله كلها مشاع للجميع الصالحين ولكن الفلسطيني كوفيء بغير عمله يوم التجأ الى بعض الشقيقات مضطرا ، وقام بكسب قوته بعرق جبينه، وبفضل ما فطر عليه من ذكاء وفن واتقان واخلاص في العمل، واكثر ما لاقى من الاذى كان من الشعبيين والسائرين في ركاب الاستعمار والصهاينة.

## نداء الملوك

وبينما كنا في المعتقل نتسامر مع الاخوان ولا سيما السيد عبد الحميد شومان مدير البنك العربي العام والوجيه الوطني السيد موسى الصوراني، وبينما كانت اسواق فلسطين ومرافقها ومعاهدها معطلة، وبينما كان الشعب يتجمل بالصبر والشجاعة والايمان، والمجاهدون يدحرون جيوش الظالمين من انكليز وصهاينة، زار معتقلنا ضيف ثقيل هو نوري السعيد الذي اوفده اسياده لتخدير اعصابنا وتوهين عزائمنا وايهامنا بالقاء سلاحنا والاستسلام ليجري التفاوض بين ملوك العرب وساسة الانكليز، جاء نوري السعيد وطلب اصدقاءه القدامى من اعضاء حزب الاستقلال الذي اسسه الملك فيصل الاول، ومن هؤلاء رشيد الحاج ابراهيم وصبحي الخضرا، وعوني عبد الهادي وجميعهم واكبوا حركاتنا العربية، وكانوا بارزين ومخالفين لنوري السعيد، سمعنا بهذا فجن جنوننا، فوقفت ووقف الاخ الوطني اكرم زعيترو وغيرنا ممن لم تذكر اسماءهم واخذنا نهز الاسلاك، وخطبنا لسمع نوري السعيد صوتنا وسفهننا توسطه، ولعنا سفارته للملوك ، ثم عاد الى الملوك برأي يمثله وحده، ويمثل امثاله اعوذ بالله من توسط ملوك العرب على افئنا فقد سحرهم الانكليز وخدعهم، وقد غدروا بكبيرهم الحسين من قبلهم.  
اذاع الملوك نداء لنلقي السلاح تمهيدا لتوسطهم، في الساعة التي كاد ينهزم فيها الانكليز والصهاينة ومن في ركبهم امام عزيمة عرب فلسطين الابطال، ومن قلب المعتقل ارسلت قصيدة الى فوزي القاوقجي قائد المجاهدين آنذاك نشرتها مجلة المثني في بغداد واقول في اخرها:

ياشعب غيرك لا يحل قضية  
باعوا حماك وانت تنظر والدماء تجري وعيشك كالظلام الاكدر  
وذوو الجلالة والسمو سلاحهم  
ان ارغموا برقية المستنكر  
ياشعب دونك والسلاح فلا ارى  
ان الاقربون عنت الى المستعمر  
اما الهزيمة والفرار والانخزال والاستكانة تلك دون تصوري

اجل لم تجن فلسطين ثمرة كفاحها بل خذلتها شقيقاتها، والامة العربية واجب عليها الدفاع عن فلسطين ان لم يكن هذا حبا بأهلها الاشقاء فلانها حدودهم والجسر الموصل اليهم، على ان نوع الحكم انذاك لم يمكّن الامة العربية من غوث فلسطين وانقاذها، واليوم ما عذر الحكومات العربية، وقد تغير نظام الحكم في كثير منها؟

ستحكم الاجيال القادمة، ( وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ) (صدق الله العظيم).  
لقى المجاهدون سلاحهم مخدوعين بالنصر وبيان الملوك وضاعت جهودنا هباءا لينعم الحكام بمناصبهم وها هم جنوا ثمرة تخاذلهم علقما ووبالا على امتهم، اذيع بيان الملوك، واخرجنا من مرابض المعتقل الى بيوتنا غير فرحين، فخرجت على القدس، وزرت الباشا مديرنا العام لاطمئن على عملي الذي قطعه بضغط الانكليز، قطعه عني وعن جميع المنتسبين الى الشركات المنوطه به، والتي كانت غوثا للبلاد على يديه، سألته عن عملي فطمأنني واكد لي ان اوامر فصلنا موقفة اقتضاها الظرف الحرج، وكان بتوقيع المدير الفني محمد يونس الحسيني لا بتوقيعه هو.

ودخلت (جنين) وعلى مقدمة السيارة علم عربي لا غيظ المستعمرين ورجعت الى القدس، وتسلمت عملي من جديد. ولكن بعد مدة تجددت ثورتنا وعاد للجبال والوديان زينتها الاولى بشبابها المجاهدين ولكن الانكليز كانوا قد اعدوا العدة لذلك، فانتدبوا البريطاني (تيكرت) جاؤا به من مجازره في الهند ليمثل في فلسطين دور اراهبه وفتكه بالمواطنين والثورة كالذي مثله باحرار الهند وشعبها فنصب سورا من الاسلاك الشائكة المكهربة حول حدود فلسطين الشرقية والشمالية، وعززها بالطلائع الالية المسلحة ثم بذر بذور الفتنة والشك بين العائلات العربية فاخذ يوعز بقتل الوجهاء والوطنيين وغيرهم ليهتم بقتلهم ابناء العائلات الاخرى لينشغل عرب فلسطين بالثارات، واخذ يدس اخبارا كاذبة عن احرار البلاد ضد الثورة، لينتقم المجاهدون منهم، فانطلت هذه الحيلة على السكان وشجع الانكليز جواسيسهم على اغتيال الناس فعمت الفوضى وتنمر العملاء، وفشت الظنون وكثر القتل بين السكان واغلقت النوافذ خيفة القاء القنابل منها على البيوت البريئة، وعطلت البلديات واعتقلت انا والاف من اخواني في مزرعة عكا وغيرها، وفر كثيرون الى لبنان وسوريا ومصر وبقي المجاهدون وحدهم يقاتلون، يقودهم ابناء القرى (كأبي درة) والشيخ عطية وعبد الرحيم الحاج محمد وعارف عبد الرازق والشيخ نمر السعدي واخرين من الابطال.

## معتقل المزرعة

تشرفنا في مزرعة عكا سنة ١٩٣٨ ثلاثة اشهر جددت بثلاثة ثم باربعة اشهر اما سبب اعتقالنا فكان لمصرع الحاكم البريطاني اندروس الذي اغتالته جماعة من شباب فلسطين في مدينة الناصرة وقد اتهم ابن عمي (راجح العبوشي) باشتراكه مع الثوار واغتيال الحاكم المذكور، فأعتقلوه وهو طالب في المدرسة وعذبوه ابشع تعذيب جسدي بالنار وقوالب الثلج وقطع الحديد الحادة، وعذب بمثل ذلك الاخ دياب الفاهوم وكثيرون.

كانت حياتنا في مريضنا الاخير كحياتنا في مريضنا في صرفند الخراب، ولما ضاق صدرنا من عسف الانكليز وظلمهم، وتجديد حبسنا بلا محاكمة اضربنا عن الطعام ثمانية ايام فكنا منات من الجوعى مستقلين على فرشنا الارضية بلا حراك.

وفي اليوم الرابع من اضرابنا نسينا الجوع، وتغير حسي في الحياة فقد اصبحت اقرأ السطر مرات فلا افهمه، بسبب نقص الدم واخذت ارى الحياة مبتسمة صافية، ووجدتني روحانيا اكثر منى جسديا، فعلمت ان الشبع اساس البلاء والشقاء والطمع والنزوات والغرور، وادركت سر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه) كما ادركت ان سر النقاء والصفاء في المتصوفين هو رؤيتهم الله جل جلاله في القلب لا البصر، وان سر سموهم الروحي والخلقي هو جوعهم اختيارا، وصومهم عن اللذات، ومن هنا فرض الصوم على امم الارض، لاشك ان سمو الذكر والعمل والنجاح هو بسمو الروح والقلب والخلق، وبهذا السمو الروحي نجح المصلون والانبياء وقادة الجيش ورؤساء الدول في اعمالهم.

لنعد الان الى اضرابنا الذي لم يؤيدنا فيه رجال الدين المعتقلون معنا، وفي اليوم الخامس من اضرابنا فوجئنا بالجيش البريطاني يسد مسالك الطرق ويطوق معسكرنا بالسلاح، ثم دخل ضابط المعتقل البريطاني مشهرا مسدسه علينا ونحن مستقلون لا حراك فينا، وخلفه جنوده بالعصي الغليظة، فانهالوا علينا بالضرب المبرح، واخرجوا قسما منا وكنت منهم تنهال على كتفي الهراوات، واستقبلني صفان متقابلان من الجند على الباب فاخذوا يتقاذفونني بلكماتهم من صف الى صف الى ان افضيت الى خارج الاسلاك، فجلست على دكة امام غرفة المدير متعبا من الضرب وكان يحيط بي فصيل من جنود الانكليز كأنهم في ساحة حرب لا امام معتقلين صائمين منهوكي الجسم، واقبل عريف منهم في شرطة السجن واخذ يوبخني بسبب تحريضي على الاضراب، فطار صوابي وقلت: (لم ملكك في لندن) فطار صوابه ورفع هرواته فوق رأسي فارتفع معها نظري وتملمت بنادق الجند، وهوت الهرواوة على ام رأسي فاصابني دوار، وادركت انني سيقتلني ابناء الحرام، فصرخت في وجهه (الله اكبر الله اكبر) فهجم اخواني المعتقلون على الاسلاك يصرخون تألما لي.

واسرع طبيب السجن وهو عربي مسيحي من اصدقاء عائلتنا في (جنين) قبل الوظيفة فانتصر لي، واقبل ضابط المعتقل وكان قسيسا من قبل، والطبيب العربي يصرخ (أمن الحق ان تضربوا المضربين عن الطعام، ابهذا تحلون مشاكلكم مع الوطنيين)؟ فهرب العريف واحضروا ملابس فلبستها، فظهرت في وجوه الجند الدهشة، وعلموا انني متقف واتكلم الانكليزية، وقالوا هذا وجيه فادركت انهم ظنوا بان المعتقلين من البهائم كما صورنا اليهود فخدعهم، وجاءت سيارة المعتقل فركبتها ورفيقي في المعتقل الوجيه

المرحوم عبد القادر يوسف عبد الهادي وكان قد جاوز الستين من عمره انذاك واحتمل معنا الجوع، ثم نقلنا الى سجن (عكا) او (باستيها)، وحشرنا كل ثمانية عشر رجلا في غرفة ضيقة فيها قطعتان من فرش النوم بلا وسادة او لحاف وكان بعضنا في خطر الموت.

واذكر ان احد اخوالي (نجيب مصطفى الاحمد) وهو عضو في مجلس النواب الاردني بعد ذلك ومناضل معروف كاد يموت بيننا لمرض في كليتيه هذا وقد توفي بعضنا بسبب الاضراب الذي شارك فيه الاستاذ المناضل (صبحي الخضرا المحامي) و(عبد الحميد شومان) مدير البنك العربي العام، وذات ليلة دست على عقرب لدغتي فتألمت حتي كدت أموت، وانا اكظم الالم، وجاء الصباح والاخوان في حالة يرثى لها من العذاب، ثم اعدنا الى المعتقل واشاعوا اننا كسرنا الاضراب، ليقظوا بيننا الفتنة، ويمزقوا شملنا، فلم يندع الاخوان واستمر الاضراب ثم عادوا وسحبوني وجماعة من زعماء الاضراب الى المستشفى، وحملني اربعة من الشرطة العرب الى غرفة مظلمة، وضغطوا على يدي ورجلي بركبهم وايديهم وجلبوا آلة غريبة اثبتوها بين فكي فحركوها فكادت تحطم فكي واسناني وصبوا الحليب قسرا في حلقي ظنا منهم ان ذلك يفك اضرابنا ويسكت العالم الذي ضجت اذاعته باضرابنا، ولما أخفقوا رضخوا الى بعض مطالبنا، وانتدبوا قاضي(عكا) لمفاوضتنا، فحضر القاضي وشرح لنا الحلال والحرام في الاضراب ونحن نعلمها مثله ونعلم ان الله تعالى حلل لنا كل سلاح في سبيل الحق، ثم اعلنا فضيلته ان الحكومة قررت ان لا تجدد اعتقالنا مرة اخرى الا بمحاكمة حقيقية، وكان هذا مطلبنا الرئيسي لنخرج للجهاد، وبدأ الانكليز يخرجوننا تباعا لتستريح من (شغبنا) وهكذا امضيت عشرة اشهر هناك يشاركني ابنا عمي حلمي وشوقي كما امضى بعضنا اكثر ولاقوا جميعهم اهوالا كالتالي لاقيتها، وعند الإفراج عني وعودتي إلى بيتي استقبلني سيدي الوالد في باب المعتقل وحملني معه الى عكا حيث كان يرقد شقيقي الاصغر (حسني) الذي كان يعالجه الدكتور انور الشقيري المخلص رحمه الله وهو ابن فضيلة الشيخ اسعد الشقيري<sup>(١)</sup> وشقيق الاستاذ الوطني احمد الشقيري المحامي المعروف .

عدت الى بيتي في جنين فخفت ان تغتالي السلطة، فرحلت الى لبنان لاضم نفسي الى مئة الف فلسطيني رحلوا هناك، وفي لبنان حاولت ان التحق باحد قادة المجاهدين (عبد الرحيم الحاج محمد) ولكنه استشهد في اليوم التالي.

اقمت مدة من الزمن الى جانب كثير من اقربائي القدامى في بيروت هناك والراجلين مثلي، وكان مسكني فندقا او غرفة استأجرها، وكنت في فترات اسافر الى دمشق لتقطيع السأم والملل الذي لقيناه في كوكب الشرق ورأس بيروت وغيرهما، وعن كوكب الشرق في بيروت حدثني المرحوم الوجيه الحاج عبد الهادي عبد الهادي، ان الشاعر المصري "ابراهيم اللقاني" حكم عليه الترك بالموت لوطنيته، فهرب من مصر الى بيروت واخذ يتردد على مقهى كوكب الشرق لينفس عن صدره فاستمع مرة اغاني فتاة يهودية هناك لها اسماء متعددة.

(١) لقد ذكرت بعضاً من نواتره في ملاحق وهوامش آخر المذكرات - صفحة (٧٨).

وفي احدى الليالي قامت هذه المغنية ودارت على الشهود لينفحوها النقود، وادرك الشاعر اللقائي انها ستمر به ولا مال معه فحضر لها بيتين من الشعر غنتهما فطرب الجمهور وهاك البيتين:

يا بني اسرائيل تيهوا علينا      لكم التيه في البرية عادة  
واحكموا كيف شئتموا فقد عاد بليلي حكمكم زيادة

وقد ابرق هذا الشاعر مرة لاهله في مصر يطمئنهم اذ ظنوا انه قتل:

اي بني أم والتقى من حلاكم      مالي اراكم من البكا في حل  
تطلبون العلياء لابن ابيكم      ثم يغليكم مهور المثل

لقد برمنا في بيروت من حياتنا كسالى، واسعفنا الصيف فرحلنا جميعا الى مدينة (حمانا) واستأجرنا مساكن، وكنت اعيش بمفردي لانني عذب فكانت غرفتي في بيت خوري لطيف دمث الاخلاق يلتهب وطنية واستمتعا بجو الجبل الذي تعودته سنين في ايام الصيف وفي ايام الدراسة في (الشويفات) لكن لم اكن ادري الحياة السعيدة وبلادنا تفنى، وفي هذه الاثناء لجأ المجاهدون الى اغتيال الحكام الانكليز فقتل الحاكم (موفيت) في جنين ، هاجمه فدائي عربي ملثم في مكتبه وجيشه يحيط به وكان من نتيجة ذلك انهم اخرجوا اهل جنين ليلا من بيوتهم وشتتوهم في الجبال ونسفوا ثلثي المدينة واشفق المجاهدون على السكان المشردين فابتعدوا عن المدينة لنلا يقع السكان بين نارين، واختار الانكليز جماعة من الشباب الوطني فقتلوهم بالرصاص ولكن المؤمنين لا يفت بسوا اعدهم قتل ونسف وتخريب وحسبك شاهدا صمود اخواننا عرب الجزائر وغيرهم نصرهم الله.

كما قتل ايضا الحاكم (اندرس) في مدينة الناصرة كما ذكرت سابقا ولكن قداستها صانتها من الهدم، لقد حدث في فلسطين حوادث كثيرة كالذي ذكرت ولكن العرب خذلونا وتألب العالم الغربي ضدنا.

## الى العراق

وبينما نحن في مصيف حمانا في لبنان انتدبنا العراق الباسل للتعليم في مدارس سنة ٩٣٩، وكان ذلك بعيد اغتيال الملك غازي، وبت انتظار موعد السفر وكان قلبي يطير كلما تذكرت انني سأرى عاصمة الرشيد، وموئل العروبة والاسلام، وقد اسعفني الشعر في حمانا فترجمت عواظي بأبيات سجلتها في ديواني جبل النار منها:

بغداد ما حنت اليك      النفس مثل اليوم وجدا  
تهنا بحسبك من قديم      يوم كان الحسن زهدا  
انا لنذكر للجودود      مآثرا تركوا ومجدا

وبعد ايام بيقرت (سافرت) من الشام الى العراق وحملت حقيبي المختصرة ولم اجد في السيارة الى بغداد مكانا فتبرعت ان اسافر واقفا فأن الشوق اليها اصبح نارا لا تطاق،

وانطلقت بنا السيارة تخض جسمي وترضه وأنا واقف، وقد تكرم بعضهم فأجلسوني قليلا في اماكنهم حفظهم الله، وانطلقنا بعد ابي الشامات السورية عبر صحراء النفود طريق الفاتحين بالإبل لا مثلنا بالسيارة، ها هو السراب الذي سمعنا عنه في الشعر والنثر والقرآن الكريم يبدو لنا جليا، فما اعظم المنظر، انه المنظر الذي رآه اجدادنا نلاحقه فيفوتنا، انه سراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده (صدق الله العظيم) انه والصحراء بقية ما خلفه لنا الاجداد قال امرؤ القيس:

الاهل اتاها والحوادث جمّة بان امرأ القيس بن (تملك) بيقرا<sup>(١)</sup>

ما اوسع هذه البيداء وما اجلها، لا طير ولا وحش ولا بيت حتى ولا جرادة فيها، انها دنيا جديدة اعجزت كل جبار عنيد من الناس ان يجتازها او يقهرها الا جابرة العرب، فهي لهم وحدهم ولا يذل قيادها لغيرهم، وكلما توغلت في قلبها توغلت رهبتها في قلبك. من هنا حسب ظني عبر فتى الفتيان خالد بن الوليد من (الحيرة) الى الشام لنجدة المحررين الابطال، قطعها في عشرة ايام متواصلة بعد ان كمن افواه الابل خوف البحر ونفاد الماء، ومن غير ابي سليمان يقدم على ما اقدم عليه!، ومن غير شباب العرب يصمدون مع قائدهم لذلك الحر اللافح والدرب المخيف!، فابن لنا مثل خالد اليوم؟ المجد لكم ايها العرب مادتمتم تمجدون صحراكم والاء اجدادكم ودين ربكم، وعلى ذكر خالد بن الوليد اذكر انني قرأت ان البطل (عياضا) داهمه الفرس بستين الف فارس، وكان (عياض) مرابطا في الانبار فقاومهم ببسالة ثم استنجد بخالد في (الحيرة) وكان جيش عياض ستة الاف فارس، فكتب الى خالد: من عياض الى خالد، الغوث الغوث، فهب خالد يقول للرسول من خالد الى عياض اياك اريد.

لبث قليلا تاتك الحلاب يحملن اسادا عليها القشائب

كتائب تتبعها كتائب

وخف لنجدته، واطبق كلاهما على جيش الفرس وشتتوهم ونجا عياض وانتصر بفضل ثباته ونصرة خالد ولو فعل العرب في فلسطين ما فعله خالد لنجدة عياض لما حلت الكارثة، ولما فرض التفاوض والاستسلام، ولو اقتدى العرب بصلاح الدين الايوبي وجنده المؤمنين لما وصلنا الى الحضيض.

وصلت بغداد ونزلت الفندق فلم اطق النوم والراحة من الشوق، فقامت وصاحبي نجوب شارع الرشيد ونتمعن بمخلفات الاباء والاجداد فلم ارى فرقا بين جنين والشام وبيروت وبغداد، ولم يدُر بخلدي ما دار في خلد المتنبي في بلاد الفرس ولكن الفتى العربي فيها غريب الاهل واليد واللسان، كان اهل بغداد يومذاك يحملوننا على الاكتاف ويفتحون لنا بيوتهم وقلوبهم وكان لقاؤهم ايانا كلقاء اهل المدينة الانصار لاخوانهم مهاجري مكة المكرمة واحتفى بي (سعيد الحاج ثابت) العربي الوطني الحر رحمه الله.

عرفته يوم زار (حيفا) في وفد فيه الوطني (محمد مهدي كبة) رئيس حزب الاستقلال

---

(١) (بيقر) اي غامر فسافر من دمشق الى العراق ولا تستعمل لغيرها (المزهر صفحة ١٦٤ ج٢ وفقه اللغة للثعالبي صفحة ٥٩٥) وطالما شبهت بهذا السراب مواعيد عرقوب ووعود الحلفاء العرب، انه امل الهالكين في البيداء وقتلهم.

و(جميل بك المدفعي) حين سفرهم الى اليمن الشقيق لاصلاح ذات البين بين الملك ابن السعود والامام يحيى حميد الدين واحتفينا بالوفد كدأبنا مع كل مسلم عربي، وعلى ذكر إمام اليمن اذكر انني هالني خلفه مع السعودية لان العرب اشقاء فارسلت قصيدة لكلا الملكين احتثهما على الاتحاد منها:

ملك الحجاز وعاهل اليمن	الله صانكما من الوهن
واعد في جيشيكما ظفرا	وحباكما بالعز والمنن
واقال ربكما ملائكة	عرب غلاظ القلب والبدن
ان يغضبوا فاسود معترك	او يكرموا فسخاء مفتتن
لا تُغضبا في الحرب ربكما	فالله عن حربيكما لغني
الانكليز رمت صفوفكما	كي يشغلوا الزيدي عن عدن

فرد علي الامام يحيى بكتاب نصه بعد البسملة(حضرة المحب الغيور ذي الحمية الدينية برهان الدين العبوشي حرسه الله وشريف السلام عليكم ، اما بعد فقد تسلمنا كتابكم والقصيدة التي ضمنه فشكرنا لكم همتكم واخلاصكم اما بخصوص زحف جيشنا اليمني على الجيش السعودي واحتلال جيشنا اليمني وادي الدواسر فكله كذب وافتراء فلا زحف ولا تقدم ولكن كان هناك اخلاء بعض الحدود خيفة من التحاك الذي يخشى منه الاشتباك، وان الحالة بيننا وبين اخينا الملك ابن السعود على خير حال) هذا نص الكتاب او نص ما معناه كما اذكر، وقد نشرته جريدة فلسطين (اليافية) انذاك.

لنعد الان الى بغداد، وبعد ايام عينت معلما في مدينة العمارة وهي بحق مدينة جميلة تحيط بها الانهار وغابات النخيل فكأتها جزيرة، ما احلى نهر الكحلاء ودجلة والمشرح حولها، وهي من مدن العراق الجديدة واهلها عشائر عربية منها عشيرة بو محمد وعشيرة بني لام اما بنو لام فقد ظهر ان منهم عشيرة الصقر في مدينة بيسان من فلسطين<sup>(١)</sup>.

ومن هذه العشائر العربية (بنو ربيعة) ولهم اقرباء في فلسطين وقراهم مشهورة في لواء الخليل الى جوار بني نعيم الذين قراهم حول النبي لوط عليه السلام، وفي فلسطين من عشائر العراق آل العزة وهم في قرى المالحة حول القدس وبيت لحم كما علمت ومنه آل العزي وبنو قيس وهم بين مدينتي نابلس ورام الله، وزبيد وهم بين جنين وحيفا، وآل السبعواوي الذين منهم السيد يونس السبعواوي قائد حملتنا الثورية في صدر(ابي غريب) في حركات مايس سنة ١٩٤١ ويسكنون اليوم مدينة غزة، وآل الصائغ وهم الذين سلموا مفتاح غزة لعمر بن العاص كما سمعت، وهناك عائلات كثيرة نزحوا من العراق ومن البلاد العربية في الفتوحات الاسلامية والعربية ولا سيما فتوح البطل صلاح الدين الايوبي واعتقد ان عائلات السعدي في جنين يمتون الى عشيرة السعدي في العراق لان الجانبين ينتمون الى حليلة السعدية مرضع الرسول الكريم، واظن ان السعدية غير السواعد لان السواعد حملوا اسمهم منذ الجاهلية، ولا ادري ان كانت حليلة السعدية ساعدية، وثمة فلسطينيون اخرون اصلهم من العراق منهم بنو الحارث في سيلة بني حارثة غربي جنين وفي وادي الحوارث بين اللد ويافا وبنو مالك في قرى رام الله. ومنه

(١) حدثني بذلك الشيخ نمر العرسان الصقري.

آل شبل في عكا فإن اقرباءهم في شامية الديوانية في العراق وبينهم تزاور وصلة، وآل التميمي وهم ابناء بني تميم في العراق ويعرفون بوطنيتهم في فلسطين وهناك تميم الداري في الخليل، وبهذه المناسبة اعلن ان عرب فلسطين او جلهم عشائر عراقية ونجدية وحجازية ويمانية ولا يزال بعضهم يحمل اسماء العشائر التي تحدرت منها، ولا تزال هذه الفروع تقدر عروبته، وتضحى بكل غال ورخيص من اجلها لانها سليل ابطال الفتوح، ولا خير في من ينكر اصله كما لا خير في من لا اصل له فانت ان عرفت اصلك وكان محترما حافظت عليه وان كان اصلك مشوشا تسعى لاصلاحه واعلاء شأنه بعملك العظيم فتكون قد فزت بالعصامية والعلاء وليس في هذا اية رجعية مادمت تؤمن بوحدة الاصل وتسعى لخير، من اخواننا اكراد العراق جاؤا مجاهدين الى سوريا وفلسطين مع البطل صلاح الدين الايوبي، ولا فرق هناك وهنا بين عربي وكردي فقد امتزجا معا، وهناك قرب جنين عرب التركمان وربما كانوا من اخواننا تركمان العراق. اقامت في العمارة سنتين، وفي اول اسبوع قضيته هناك عرف اليهود الصهاينة انني فلسطيني وان سماحة المفتي الحسيني سيزور العراق فأخذوا يضايقونني في الشوارع وفي صفوف التدريس، على ان الطلاب العرب كانوا كراما مؤمنين فقاوموهم وارادوا مرة ان يلقوا بهم في الشط ( النهر ) فلم وافق عملا بالدين، وتألب عليهم المؤمنون من السكان فهاجوا وماجوا واحرقوا مكانا لهم وقتلوا واحدا منهم لان اليهود تهجموا بعنجهية واصلف على متصرف المدينة السيد ماجد مصطفى لحياته فتاة منهم اعلنت اسلامها واتهمت بانني سبب في ذلك وانا بريء لحياته فتاة منهم اعلنت اسلامها واتهمت بانني سبب في ذلك وانا بريء كما ان اخواني المعلمين في مدرستنا هناك طردوا تلميذاً يهودياً كان يسخر من المعلمين ومنى معتزاً، فان أباه في يده المتنفذون في مدينة العمارة لانه يسلفهم مالا بالربا فكتبوا ضد المتصرف وضدي الى السفارة الانكليزية في بغداد فاستدعت الحكومة المتصرف وطلبت اليه مراعاة الوضع. واشاع اليهود ضدي ابشع الشائعات فسحبتني الحكومة من العمارة والغت عقدي واحتج مفتي العمارة الفاضل والسكان الكرام بعريضة الى وزير التربية لانصياع حكومته لشغب اليهود ضد مجاهد عربي وضد المتصرف.

لقد حمل بعض الطلاب اليهود في العمارة عداوتهم لي معهم الى فلسطين حيث التحقوا بجيش الصهاينة، فقد اخذوا يفتشون عني بين لاجئي (حيفا) للفتك بي ولكنهم علموا انني في العراق والحقيقة انني كنت في معركة جنين الى جانب الجيش العراقي الباسل واعتقد انهم هم الذين قذفوا بيت عمي عبد الرحيم العبوشي بالقنابل المحرقة فاحترق عمي وبيته في جنين سنة ١٩٦٧ وانهم بواسطة شبكاتهم في العراق اخذوا في العراق يضيقون علي ويطاردونني علنا في كل مناسبة يساعدهم في ذلك بعض المرتزقة من العرب الهدامين والبسطاء ولا ازال الى هذه الساعة والى هذه السنة ١٩٧٤م مطاردا يشاغبون علي بواسطة اتباعهم من ذوي المباديء الهدامة المرتشين.

خرجت من العمارة سنة ١٩٤١ لالتحق بحركات مايس في صدر(ابي غريب).

## الشعور بما سيقع

مادمت في ذكر العمارة اقول انني هناك افقت ليلة لتناول سحور رمضان المبارك فلم اجد خبزا، وعز علي ان اطلب من الجيران وتجسمت لي الغربة والعروبة بماسيها وتذكرت قول الشاعر:

يا حسرتا للغريب في البلد النازح ماذا بجسمه صنعا  
فارق احبابه فما انتفعوا بالعيش من بعده ولا انتفعا

فدمعت عيني ونمت مقهورا وبعد اسبوع تلقيت كتابا من المرحوم والدي في مدينة جنين يخبرني ان المرحومة والدتي هبت من نومها ليلة قهري لفقدان الخبز وهي تصرخ برهان جائع، ولم تهدأ لتعليقات الوالد بانها واهمة فهي في فلسطين وبرهان في العراق فكتب الي والدي عن صحة ما رأت الوالدة في منامها، وكان هو قد صدقها في ذلك ولكن اراد التأكد مني فسبحان الله مجنح الارواح والحواس، كان هذا سنة ١٩٣٩، اما في مدينة (شامية الديوانية) سنة خمسين وتسعمائة والى فقد لاحظ مدير متوسطتنا المرحوم محمد باقر حسين كليدار الشيباني قلقا مفاجئا اياي، واخبرته عن شعوري بمرض والدي في جنين، فطلب الي ان اكتب الي الاهل، فجاءني كتاب والدي بمرضه الشديد، وانه كان يردد اسمي ليراني قبل الوفاة، وقرأ المدير الكتاب فاستغرب رغم بعد الشقة، لقد بت اعتقد أن في الدماغ شحنات خفية تعمل عند التأثر فيشعر بها البعيد ذو العلاقة، ومثل هذا قصة الخليفة العادل (عمر) رضي الله عنه حين صاح في المجلس (يا سارية الجبل الجبل الجبل)، فشعري مشحون باحاسيس الخطر الصهيوني والجلء قبل وقوعه، وربما اعتمد هذا على نتيجة اول خطر من (وعد بلفور).

في سنة ١٩٤٠ على ما اذكر، رجعت الي جنين من العراق لزيارة اهلي، فبدأ الانكليز يضايقونني منذ دخلت الاردن، ساقوني الي دائرة التحري في القدس، وارهبوني بمحاولة الضرب والقتل لولا تدخل السفارة العراقية بسبب علاقتي التعليمية في العراق، والحقيقة انني اتصلت بها واتصل بها جماعة من الوطنيين لانقاذي من غدر الانكليز فتركوني على مضض.

## حركات مايس ١٩٤١م

لا اريد ان البس ثوب المؤرخ في هذه العجالة، فكتابي ليس للتأريخ وانما هو للتلميح والتلميح، اريد ان اذكر هذه الحركات لمساسها بقضيتنا العربية ولاسهامي واخواني اشبال فلسطين فيها.

حين انقلب جيش العراق على نوري السعيد والامير عبد الاله المنهزمين، نصبوا رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء، وامين زكي قائدا للجيش، حينئذ نشط اليهود في بغداد، واخذوا ينشرون مناشير سرية ضد العراق تهينها لهم سفارة الانكليز، والتهبت بغداد حماسا لبلاغات دولة الانقلاب واشيع عن نية الانكليز بالزحف من الهند على العراق، فزاد التهاب الجمهور واذا بالانكليز ينزلون جنودهم في البصرة بعد قتال مع الجيش الباسل والشرطة العراقية هناك، وزحف (ابو حنيك) البريطاني من الاردن، فقامت قيامة بغداد، ودعي الناس الي التطوع والمقاومة وتطوع العراقيون الابطال دفاعا عن حياتهم

رغم قلة السلاح، ونظمت المقاومة الشعبية وانتشر جماعة الفتوة لحراسة العاصمة ليفرغ الجيش لمقاومة الاعداء، فكلفني سماحة المفتي الحاج امين الحسيني ان استدعي إليه سيد جاسم حسين الكرادي فاستدعيت، ولم يكن بينهما تعارف من قبل كما علمت وبعد خروجه اعلمني بأن المفتي قد كلفه بتشكيل جماعة للقتال، وانه الح على المفتي ان يكون امين سر هذه الجماعة فابدى المفتي معارضته لحاجة المصلحة الي في المقر الخلفي مع ان علاقتي مع المفتي كانت علاقة وطنية خالصة ليس فيها اثر للوظيفة او غيرها، والحقيقة هي انه اراد ان يرشح الاخ عبد القادر الحسيني رحمه الله بدلاً عني ولم يكن لي علم بهذه النية من قبل، وقر القرار اخيراً على ان اخرج انا معه للميدان وفي السابع والعشرين من ايار سنة ١٩٤١م وقبله كانت الطائرات الانكليزية تقصف بغداد ليلاً ونهاراً وتمكنت احدى الطائرات العراقية الصغيرة ان تسقط طائرة للعدو عرضت فيما بعد في سينما الحمراء في بغداد، وكان احد شيوخ العشائر يطلق النار من مسدسه ليلاً على طائرات العدو من حماسه، وفي هذه الاثناء رأيت جنوداً عراقيين يلقون القبض على جاسوس يهودي يتجسس وزمرته اليهود على وطنهم لحساب (ابي ناجي) الانكليز ويعطون بمصاييحهم اشارت لطائراته، فتأمل غدر اليهود!، وكان سلاح مقاوماتنا قليلاً، فتذكرت قول الريفي العراقي حين شاهد طائرة وهو صاحب بغير قائلاً بلهجته الريفية: متعجب خالق لبعيرة وشحال لو خلق طائرة، وما علم اخونا الريفي ان خلق البعير معجز لا يقدر عليه الا الله تعالى، وان الطائرة ينشئها اي انسان اذا تعلم والانسان لا يقدر ان يخلق بعوضة.

في السابع والعشرين من الشهر الخامس سنة ١٩٤١ قبل منتصف الليل تحركت سيارة مجاهدينا وكلهم عراقيون الا خمسة عشر فلسطينياً كان قائدهم الاخر عبد القادر الحسيني رحمه الله، وقد ابلوا البلاء الحسن وجرح ادهم فور وصوله، وركبت والسيد جاسم والاخ عبد القادر في سيارة واحدة تقود جماعتنا، وكنت امين سر الحملة العراقية وكان جاسم قائداً وكان الاخ عبد القادر قائد الفلسطينيين المتطوعين كما كان فلسطينيون اخرون قد تطوعوا في جهات اخرى الى جانب اخوانهم العراقيين والسوريين والعرب الاخرين وهذا عين الواجب.

مررنا بمدينة المحمودية ثم عرجنا على صدر ابي غريب حيث المعركة وفي الطريق كانت طائرات العدو تهاجمنا فنضطر الى القفز من السيارة الى الارض والانتشار وهكذا الى ان بلغنا بستانا واسعا قبنا فيه فداهمتنا الطائرات بقصف مريع لم يؤذ احداً منا ثم زحفنا الى مكان القتال، وبينما كنت واقفاً نبهني رجل من عشيرة زوبع فالتفت الى الخلف واذا بمعيدي يصوب الى ظهري فالة (وهي ذراع حديد في رأسه اسهم مدببة لصيد السمك) يريد قتلي بين جماعتي لياخذ بندقيتي فعجبت من هذه الاخلاق وقلت له: اما تخجل يا هذا اتيناكم من فلسطين اخواناً لنشارككم دمكم وجهادكم فتقتلني فقال مبتسماً ما يخالف اعطني البندقية او خرطوشاً فطرده ولم اؤذ عملاً بنصيحة الزوبعي الكريم، وبعد قليل رأيت رجلاً اشيب يلبس كفنًا ابيض متمنطقاً مسدساً يهرول ويهوس ويهلل كالاسد وخلفه جماعة بالبنادق يهوسون ويهللون فسألت من هذا؟ فقيل لي هذا خميس بن ضاري ذاهب الى المعركة وعلمت اخيراً انه اصيب في رأسه ولم يستشهد اما ابوه

ضاري فهو صاحب الهوسة المشهورة في العراق ( هلهولة للقاتل لجمن) حاكم بريطاني الذي قتله الشيخ ضاري في العراق.

لم تهجرنا طائرات العدو، ففي كل يوم لنا منها زيارات ثقيلة يذهب ضحيتها جماعة من الضباط الشباب كأنها كانت على علم بمراكزهم، وفي يوم من هذه الايام كنت وجماعتي في بستان نخل نستريح من المعركة، وقبل طلوع الغزاة (الشمس) طلعت بوم سوداء (طائرة حربية) حامت فوقنا ولم تقصف، وبعد دقائق اقبلت طائرتان سوداوان تقدمت احدهما وبقيت اختها تحوم قريبا، واذ بشخص يخرج من بستاننا يقود فرسا حمراء فأدرك انه جاسوس العدو فانتهره ولم يرموه، فلم يأبه لهم، (واخذت) الطائرة تمطرنا برشاشها ورأيت الجند النظامي ينتصبون على طول جذوع النخل والسعف يتساقط كورق الخريف هبت عليه ريح صرصر فاستشهد من استشهد، ثم جاءت اختها بعدها فالقت اثقالتها قنابل كانها حمم الجحيم فاستلقى الجنود المجاهدون ارضا وصاح بي جماعتي وكنت قائدهم انذاك لغياب جاسم في الخط امامنا، ان استلق فاستلقيت وحدثني بعضهم ان رأس احد المقاتلين طار في الفضاء من فعل قنبلة مقبلة نحوي فتضرعت الي الله ان لا يجرحني ولا يعطل اطرا في بلد ليس لي فيه من يعتني بي في مثل هذه الساعة وان يقتلني بدل العطل، واذا بالقنبلة تسقط على جدار مضخة للماء فينهار علي الجدار واجرح في يدي وساقي وهب اخواني العراقيون رغم الخطر لنجدتي فيجدونني حيا واضطرب الجند والمجاهدون من هول القنابل وفتكها بالجنود العزل فاطلقوا سوقهم للريح في العراء ولو رأتهم الطائرة لحصدتهم، فاستعملت صافرتي لتصمد جماعتي ولكن دون جدوى، فقد اصبحنا جميعا هدفا مكشوفيا لايحوز البقاء فيه فلحقت بهم واعوذ بالله من الفرار ان كان واجبا لنلا يفرح العدو بحصده ايانا، فنحن لم نهرب من المعركة، ولكننا استبدلنا بستاننا بخندق حصين في ارض المعركة ثم عجنا على بستان صغير فيه بيت شعر واحد نستذري ذرئه، فطلعت علينا فتاة ينطبق عليها قول المتنبي:

من الجادر في زى الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

طلعت علينا من خدرها، ونظرت ثم عادت الى خدرها المصون، واذا بشاب يطلع الينا بلبن فيه دهن وبخبز من طحين الارز واعتذر فشكرنا له كرمه، واني اقسام ان تلك الاكلة ساعة الجوع كانت افضل لدي من بقلاوة بيروت وكنافة نابلس، وفي المساء مرت من فوق رأسنا ثماني عشرة طائرة سوداء الى بغداد، وفي الحادي والثلاثين من الشهر الخامس كان السيد عبد القادر الحسيني قد انسحب واخواننا الفلسطينيين اذ تبلغ بذلك لسقوط بغداد ونحن لاندرى.

في الصباح، عدنا الى خنادقنا في الخط الاول بعد ان قمت بحراسة حرش بمفردي، وفي خنادقنا امر الضابط المسؤول ان لا نرد على رمي العدو ان رمانا ولم ندرك سر ذلك الامر انذاك، وامسى المساء واذا باطلاقة واحدة من العدو تعبر فوق رؤوسنا فالتهب رشاشاتنا وبنادقنا فرد الضربة بضربات فأقبل الضابط يصرخ ويلطم وكرر الامر، وبعد نصف ساعة عاد العدو فرمانا اطلاقة واحدة، فكان جوابنا عليها كالسابق فأقبل الضابط كالمجنون يلوم ويعتب، واصبح الصباح واذا براية بيضاء تلوح لنا من جهة العدو، فرح جيشنا اذ ظنها راية استسلام العدو واقبل جنديان عراقيان من قبل العدو يلوحان بالعلم الابيض، فانتدب الضابط واسمه نوري على ما اظن ثلاثة من الجند لاحضارهما بسلام

فسلماه رسالة في غلاف اصفر مكتوب على ظهره ما يشير الى ان بغداد قد استسلمت كتبوها على ظهر الرسالة ليعلم الجند مضمون داخل الغلاف فتنهار اعصابهم. فضنا الرسالة وقرأت لهم فحواها فادركنا من الرسالة ومن قصاصة جريدة فيها ان بغداد استسلمت وان ابا ناجي (الانكليزي) قد سيطر على بغداد وعليه فقد بات لزاما على قائدنا ان ينتدب من يفاوضهم للانسحاب بشرف حقناً للدماء العراقية البريئة اذ لا يجوز لعراقي ان يقتل اخاه العراقي الخ..

هكذا كان مضمون الرسالة فعجبت من الجملة الاخيرة اذ كنت اعلم ان العراقي يحارب الانكليز فعلام تقول الرسالة لا يجوز لعراقي ان يقتل اخاه العراقي؟ اذا ان ثمة عراقيين يقاتلون في صفوف الانكليز، وكيف يجوز هذا؟ وهل هذا صحيح؟ هذا ما دار في خلدي نتيجة لتلك الرسالة، فقد كنت اعتقد ان العراقيين جميعهم الب على المستعمرين وعلمت بعد ذلك انهم جماعة الامير عبد الاله، وفي تلك الساعة كنت قد كتبت على ظهر صندوق سجائر ملقى على الارض من شعري حين حرمننا الاكل:

الموت من فوقنا طائف	والخبز والتمررة ذا اكلنا
ياكلها الجائع الخائف	وبصلة خضراء ريانة
في قدرها ينسفها الناسف	أفضل من أكلة انضجت
يلبسه الموتور في حربته	وملبس اصفر مخشوشن
يلبسه السفاح في كربه	افضل من سندس اخضر
لله يرقدها الثائر	وضجعة في خندق ضيق
فوق سرير يرقدها الجائر	افضل من ضجعة ذي نعمة
يبعث الأموات من موتها	ورنة المدفع في معمع
من (ام كلثوم) ومن صوتها	اشهى لدي اذا هزني

قرأ الضابط رسالة العدو، فاعز الى الرسولين ان ينصرفا من حيث جاءا على ان يعودا بعد ساعة يشاور فيها رئيسه المسؤول، فانصرفا بسلام ورأيت الدموع في اعين بعض الضباط الشباب واعلموني ان هذه الساعة اول ايام تخرجهم في الكلية العسكرية، ويفاجأون بالهزيمة، فتأثرت كثيرا وطمأنتهم الى ان المحارب في سبيل وطنه لا يعرف اليأس، اذ لا يأس في الايمان مبدننا الاسمي، وهنا امر الضابط بفك الرشاشات وسحبها من المعركة من خندق خفي اعد لذلك، وبدأ الجند ينسحبون ونصحتني الضباط ان انسحب من جماعتي لان تأخري معهم لا يفيدني فقد لا اجد من بينهم (اي ضباط) من يعتني بي اذا جرحت ولن تجدي المقاومة ولاسيما ان بعض العشائر زاحفة علينا للسلب، هكذا قال لي احد الضباط، فلحقت بالسيد (جاسم) وسلمته سلاحنا والعتاد وكان احدي وتسعين بندقية صدئة انفجر بعضها فور استعمالها، كان سيد جاسم قبلا عريفا في الجيش العراقي ورأسا لجماعة عراقية حاربت في فلسطين قرب جنين سنة ست وثلاثين وتسعمائة والى الف، استطاع جاسم ان يحيي سيارة كبيرة خلفها العدو المنهزم في مستنقع الماء، فركبناها الى المحمودية وزرنا القائم مقام الشهم فبكى وكلف رئيس البلدية ان يمدنا باثواب للتكر فها على مضض واصطحبنا الى بستان فرمى بالثياب فيه وعاد من

حيث اتى وكان جاسم قد صرف جماعته وسيارة السلاح بمعرفة اخينا "ابراهيم معين الساعدي" الذي اخلص لجاسم كل الاخلاص هنا وفي فلسطين سنة ١٩٣٦م، قفزنا الى البستان فارتديت قمبازا(زبونا) الى الركبتين دثرته بعباءة قصيرة، وارتدى جاسم مثلي ونظرنا الى بعضنا فقتلنا الضحك لهذين الفردين او (الجوكرين) وعدنا الى المحمودية حيث تناولنا الغداء البسيط عند طبيب من سوريا الشقيقة وركبنا السيارة الى بغداد فمنعنا الجيش من العبور، وكان بينهم قائد الجيش في صدر(ابو غريب) فعرفنا برغم تنكرنا، واضطررنا الى الرجوع عن طريق "الكرادة الشرقية" وألفينا هناك ضابطاً عراقياً جالساً على حجر ويده مسدس والحزن باد على وجهه فحينئذ فاشار علينا بالعبور فمررنا ببيوت شممنا فيها رائحة اجسام محروقة، وصرف جاسم شرطياً كان يجاهد معنا البسه جاسم حينها لباس الشرطي ليقنادنا كمجرمين فنمر دون ان تفتن الينا الشرطة في الطريق، وعند ملتقى الطرق تجسمت (لجاسم) احوال الفرار وترك العيال بلا معيل فطار صوابه، وكاد يصادمني اذ اشهر مسدسه في وجهي بلا سبب وقد غشي الهم عينيه وذهنه فعذرتة فندم ودخلت بغداد وحدي.

نزلت من الفندق حذرا اترقب لاجد ابواب الحوانيت محطة وباب وزارة الدفاع مطمورا بالمنهوب، واذبالاستاذ (درويش المقدادي) عميد دار المعلمين العالية سابقا يصادفني في الطريق فاعلمني انه اوقف من العمل برغم انه فلسطيني ونصحتني بالهرب في هذا اليوم الى الشمال لان الدولة تهيء قوائم بأسماء الفلسطينيين والسوريين وغيرهم، ممن طاروا للقتال الى جنب اخوانهم، فركبت عربة خيل أوصلتني الى محطة كركوك، فخفت من الشرطة هناك فطمأنوني وقالوا ايعقل ان نجزي بالشر اخا شاطرناه بدمه، وضماده باد على ذراعه وساقه رغم التنكر؟ ودلوني على اخ مختف بالداخل، فتعارفنا واذا هو الاخ "عبد الرحمن محمود رحيم" كان بصحبة الاخ القائد "يونس السبعاعي" رحمه الله فسافرنا معا في القطار الى الموصل عن طريق اربيل وكان الجيش يوقف القطار فجأة، وينزل منه ضباطا هاربين، وعلى جسر الموصل ابتمس الشرطي مذ رأي جواز سفري الفلسطيني وقد رأي اتخفى وضماذ جرحي بارز، وقال لا بأس عليك انزل في فندق (السفراء) حيث اخوانك الفلسطينيون فاطعته وكان الاخ عبد الرحمن محمود يزورني كل يوم ويلاطفني لينسيني هول الاغتراب في مثل ذلك الوقت العصيب وذهب بي مرة الى الخياط (عبد السلام آل حبار) لاشترى بدلة، فقد خلفت حقائبي في بغداد فهزته النخوة وابى ان يأخذ مني ثمن البدلة وتوسط الحاضرون اذ ارفض الا ان ادفع الثمن فقبل مني ديناراً واحداً وقال أخذ من المجاهدين؟ وهناك تعرفت الى بعض اخواننا الطيبين حفظهم الله جميعا وحفظ (الحبار).

في الفندق جاءني السيد (علي حيدر الحسيني) قريب سماحة مفتي القدس الذي خلفه وآخرين للعناية بالفلسطينيين واعلمني بان متصرف الموصل (تحسين علي) قد استدعاهم اليه وهددهم ثم لاطفهم بكلام رقيق، كما اعلمني الاخ علي حيدر ان مدير الشرطة يريدني ان اذهب اليه اذ علم بوجودي دون ترخيص فذهبت اليه فلاطفني وسقاني القهوة ونصحتني ان اهرب واخرج من العراق لنلا يأتي خلف له من اذئاب الانكليز ويعتقلني، على انه لن يمد هو الي يد سوء، فشكرت همته ووعدته بالخروج، عدت الى الفندق حائرا متربصا، اين المفر؟ أفر من بلاد العرب لعين الانكليز ونوري

السعيد وسيده؟ لاحول ولا قوة الا بالله عليه توكلت واليه انيب ( لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) صدق الله العظيم.

## المهرب الى سوريا

وفجأة دلف (جاسم) هاربا فادركت انه سينقذ الموقف مادام اهتدى الى مكاني، فنسيت زلته معي في بغداد، وفي المساء هربنا برغم الجواسيس الصابنة ذوي اللحي الطويلة الذين كانوا يراقبون الفندق ويراقبوننا، وبعد منتصف الليل نقلتنا سيارة ومعنا رجلان لبسازي الشرطة وهربنا الى تل كوجك فنزلنا في مضارب شمر واکرمنا شيخها (وطبان الفیصل) ذلك الاكرام واخفى الشرطيين اذ اقبل جنود من حامية عراقية هناك فاعلمنا عريفها انه تسلم برقية للقبض على (جاسم وبرهان) فانكرنا وجودنا فابتسم وطماننا وانسحب، واذا بسيارة تقل ضابط جيش في ثياب مدنية تقبل علينا فدفع الضابط العراقي بعد السلام والاطمئنان كتاب المتصرف الموصل الى الشيخ (وطبان) فقرأته له وفيه يقول ما معناه بعد السلام وتقبييل الشارب انك يا وطبان تاوي الخارجين عن الدولة و.. الخ، فغضب الشيخ وطبان واعلم الضابط ان لا جواب عنده فهو عربي بيته مفتوح لكل انسان مهما كان جنسه وليس من شيمة البدوي العربي ان يطرد الضيف ولو كان قاتل اخيه، ثم قال له انني لا اوي العصاة ولكني اوي المجاهدين من اقطار شقيقة ناصروا العراق، فليس من الشهامة ان اطردهم وانكل بهم، قل للمتصرف ان كان يهمله امر الدولة فليطعم الحاميات المهجورة كهذه الحامية التي بجواري، فأني اقوم بما تحتاج اليه وانهم خمسة وثلاثون جنديا حرماوا الاكل والشرب ولولاي لماتوا جوعا، كان الاولى بالمتصرف ان يشكرني لا ان يعاتبني، فسكت الضابط قليلا متأثرا بكرم الشيخ وطبان العربي الشهم ووفائه وشجاعته الشمرية العربية ثم استاذن الضابط بدخول الحدود ليفتش عن ابنه عدنان وقد كان طالبا في الكلية العسكرية هاجمه حماسه وهرب من العراق الى الشام مع الهاربين بعد المعركة فسمح وطبان للضابط وقال الارض لله وهي ملك للجميع وعبر الضابط ثم رجع فاعلمه وطبان ان ابنه عدنان ربما دخل عن طريق القامشلي حيث ابن عمه الشيخ (دهام) ورحل الضابط، وعلى ذكر الحامية ان افرادها ارونا وريقات فيها توقيع الالماني المشهور (جروبا) وقد شرب عندهم الشاي، ووعدهم بترقيتهم عندما ينتصر جيش المحرر (هتلر) فتأمل!!.

بقينا في حمى الشيخ (وطبان) شكر الله سعيه، الى العصر فرجوناه ان يعبرنا الى الشام، فخرجنا وركبنا سيارته وهو ورجاله في حراستنا مسلحين ومر بنا بابن عمه (بردان) فتشبت بنا للنزول عنده فشكره وطبان وسرنا حتى اقبلنا ليلا على ابن عمه (عيادة)، وكان يقيم على تل وبيده بندقية فصوبها اليها خوف ان نغدر به لان البدوي حذر بطبعه ولم يطمئن الى صوت ابن عمه الشيخ (وطبان) الا بعد ان امره ان يقف امام ضوء السيارة، حينئذ اطمأن وانقلب من اسد هصور تضيء عليه جدائله بسالة وقوة الى حمامة وديعة تعشق الضيف، وعليه ينطبق قول القائل القديم:-

ولم يلهنى عنه غزال مقنع  
وتعلم نفسي انها سوف تهجع

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته  
احدثه ان الحديث من القرى

نزلنا من السيارة وجاءنا (وطبان) يستأذن بالعودة مضطرا واوصى بنا ابن عمه وهو يبكي لفراقنا، ثم عانقنا كأنه فقد بفراقنا اخوة لنا وبكىنا نحن ايضا.

اللهم ان الشيخ (وطبان) قام بواجب امرت به عبادك، قرى الضيف والبر بالمجاهدين، فأثب يا رب عنا (وطبان) وكل من اكرمنا وواسانا، اللهم انك تعلم اننا نطلب وجهك ورضاك في كل ما نقوم به فايدنا بنصرتك، وانصر العراق وسائر بلاد العرب وكل مظلوم على الظالمين، بهذا توجه قلبي الى الله جل جلاله.

بعد منتصف الليل وبعد ان طعمنا (ذبيحة) (عيادة) الفقير، ونمنا نومة المطمئن المتوكل على الله وحده على رابية بدوي شمري، وفي الصباح رأينا الخيل والبغال قد هيئت، فركبنا و(عيادة) امامنا هاشأ هاشأ إلى أن أشرفنا على أول مضارب (شمر)، وكان جبل (سنجار) يلوح امامنا كسد الاسكندر، وكان اليزيدون يمرون بنا بوجوه لونها نحاسي من حرارة الشمس يحيوننا بلطفهم ونحييمهم، واذا بخيل بعيدة تقف اذ رأتنا وتعود الى الخيام، فسألت (عيادة) فقال عرفت الخيل ضيوفها فعاتت تهيء، ودخلنا مضارب الخيام واذ بشيخ كهل يسعى بين الخيام يهلهل بلهجته البدوية، يا عرب اليوم عيد، يا عرب اليوم عيد، فسألت عن الشيخ فقبل هو (مدلول العاصي) ابو ميزر الشمري، وميزر هذا هو الذي استقبلنا بخيله من بعيد، وكان قد تزوج من ايام.

رحب بنا الشيخ الشمري واکرمنا ذلك الاكرام، وكررت له القول ان الشيخ (وطبان) هو الذي ارسنا اليك فاجابني غاضبا انا اكرمكم من اجلكم لا من اجل وطبان، وبعد وقت قليل وطعام كثير استاذنا بالسفر بالحاح، فاختلف وابنه (ميزر) ايهما ينال ثواب صحبتنا فتغلب الشيخ لان (ميزر) كان مشغولا بتسريح شعره بالزيت متجملا لعروسه حسب قول ابيه، فركب معنا الشيخ، ودلنا على مضارب عشيرة(طي) فنزلنا هناك مكرمين، ولم يرد الشيخ (مدلول) ان ينزلنا في بيت قريبه (مشعل باشا) النائب في مجلس النواب السوري والهارب من الفرنسيين، وانزلنا عند شيخ (طي) محمد عبد العزيز لرضاء الفرنسيين عنه حسب مدعي الشيخ مدلول.

استقبلنا شيخ طي بقوله أمنتم من القوم الظالمين ولم يستطع الشيخ ان يعتدل من مضجعه لعرج قديم في فخذ من رصاصة قديمة، وبعد قليل هاجمتني حمى الملاريا، فسمع الشيخ مشعل بمرضي فحف للسلام واسعفني بحبوب (الكينا) واخذ يلاطفني حتى صحت اكرمه الله.

وقد رأيتة وهو الشمري يأمر بسكب القهوة في بيت الشيخ الطائي في غيابه، فسألته كيف يجوز لك ذلك، فقال من عادات العرب المحمودة ان الشيخ من اية عشيرة يقوم مقام شيخ العشيرة الاخرى في بيته مادام صاحب البيت غائبا، ولكن في امور محدودة. لقد فسد الجرحان في ذراعي ورجلي اللذان حملتهما من معركة ابو غريب في العراق واستفحلا بسبب السفر والحر برغم الدواء الذي حملته معي من عيادة الطلاب في الموصل.

وفي الصباح أحضر الشيخ الطائي سيارة حملتنا الى مدينة (الحسجة) السورية ورفض حلاق هناك ان يأخذ اجرة حلاقتنا حين عرفنا فشكرناه وتسلمنا الفرنسيون اسرى، وحملونا الى مدينة دير الزور وانزلونا في قلعتها على رأس تل تحته الفرات، فعالجني

طبيب الجيش الفرنسي ودفعني في صدري لاجابه بصبري وجلدي حين عصر الجرح بيديه وقال صبرك هذا صبر مسلم، فاجابه الترجمان بالموافقة. وبعد قليل هربنا من القلعة الى مقاهي (دير الزور) الباسلة واذ بها تفتح بيوتها لجميع الهاربين من العراق وتكرمهم كرما اي كرم، حيا الله دير الزور فان كرمها كان باليد واللسان، اما نحن فقد اعدنا الضابط الداغستاني الطويل الشارب الى القلعة برفق، وفي اليوم التالي حملنا الجيش الفرنسي الى مدينة (حلب الشهباء) بحجة انهم سيطلقون سراخا في دمشق، فخدعونا كعادتهم وانزلونا في (حلب) في قلعة شاهقة الاسوار تعج بمئات المعتقلين من عراقيين ومن فلسطينيين ومن سائر ابناء العرب الاشقاء النازحين من معركة العراق، وصلنا حلب عن طريق الصحراء التي لا ماء فيها، ومما يسرني انني عدت من ذلك الطريق بعد انضمام سوريا الى مصر، فالقبت الصحراء تتفجر ماء اسال الله تعالى ان يوحد شمل امتنا العربية تحت راية واحدة فلقد كان اهل حلب الكرام قد غمروا المعتقلين بالذباح والفواكه، وفتحوا بيوتهم للنازحين المجاهدين، وتمكنا بتدبير سيد جاسم ان نفلت في اليوم نفسه ونختف في فندق متواضع تضليلا للجواسيس، ثم اخذني الدكتور (حسن بيك فؤاد آل ابراهيم باشا) الى قصره العظيم فطلبت ان يبقى معنا جاسم فرحب به فمكثنا هناك يومين مكرمين وكان في القصر "مجدي" بن "فوزي القاوقجي".

برمت من المقام في القصور كالسجين فاستأذنت الدكتور حسن ذلك الشهم الهمام الطيب بسكنى الفندق، وفي الفندق عادت إلي الحمى التي يذل لها المتنبى والمطارف والحشاياء، وكادت تقتلني لولا ان اسرع الدكتور حسن وكلف الدكتور الشهم النبيل "وجيه سلطان" فعالجني باخلاص حتى شفيت باذن الله وكان ذلك في الثامن عشر من حزيران سنة ١٩٤١م ورفض اجور المعالجة كما رفض الصيدلي ان يأخذ ثمن الدواء اكراما منهم للمجاهدين، حيا الله حلب الشهباء عاصمة بني حمدان وسيف الدولة الذي صمد لمناجزة الروم ولم يفاوض، انني افتخر بكل عربي يتشبت بمكارم العروبة كما افتخر بكل مسلم يعتصم بحبل الله جل جلاله، اننا في هذا الزمن البخس الذي كشرت فيه الشعوبية عن انيابها والاستعمار عن جسعه لفي حاجة ككل زمن الى الوحدة العربية والايمان الصحيح بالدين الذي هو اعظم رابطة.

بعد شفائي زرت وجاسم (سعد الله بك الجابري) في بيت اخيه فهب لمساعدتنا فاعتذرت عن قبول اية مساعدة وعدت الى الفندق فافتقدت حقائبي ثم اعلمني الاستاذ عزت دروزة انه ارسل الي من القلعة حقائبي مع جاسم ولكن جاسما انكرها، وفي حلب زرت الاستاذين عزت دروزة واسحاق درويش في فندق كارلتون.

## الى دمشق

في الحادي والعشرين من يونيو سنة ١٩٤١م ودعت جاسما لأسافر الى دمشق، وقد بلغت الهامة من ضواحي دمشق فرأيت الهول، رأيت الجبل المقابل للبنان قد انقلبت كاهله معركة حامية الوطيس بين (الفيشبين) و(الديغوليين) وجميعهم فرنسيون يقذفون انفسهم بالقنابل اليدوية والرشاشات ويبقرون بطون بعضهم بالحراب والانكليز يلعبون

ويسكرون في ملاهي دمشق، دخلت البستان في "الهامة" فالفيت فيه خلقا كثيرا من رجال واطفال ونساء، يركضون هنا وهناك ليحتموا من رصاص العدو يتساقط عليهم. في هذه اللحظة، وكان الوقت عصرا تحمست ثلاث فتيات من دمشق فاقتحمن طريق الموت الى بيوتهن في العاصمة فعجبت لبسالتهن وصغر في عيني الرجال فصممت ان اقتدي بهن فتشبت بي صاحب البستان الشهم فقد عرفني غريبا فاعتذرت له وحملت قطعة خشب انقر بها الحصى في الطريق تسلية لي مادام الرصاص يحيط بي من كل جانب وتذكرت مثلا عندنا في جنين - عصا المجنون خشبة- يالها من فترة عصبية وياله من جنون ركبته والرصاص ينهمر، سرت في الطريق الى ان بلغت مفترقا مع سكة الحديد، فماذا رأيت؟ واسفاه! رأيت ما يبكي الفؤاد ويديمي العيون رأيت جنودا من عرب الاقصى قتلى مسجين في قارعة الطريق ولم اشهد بينهم فرنسيا واحدا، اهكذا يجندل اخونا العربي مدافعا عن غيره، ووطنه اولى بهذا الدفاع؟ ايشكر المستعمر هذا الفداء؟ كلا. ان القتلى عبيدهم ويجب ان يموتوا لكي يعيش المستعمرون اسيادهم؟ متى الخلاص يارب؟ نظرت الى القتلى امامي وهم اخواني، وتوقفت لحظة لانديهم اذ يعز علي ان اعبر الطريق على اجسادهم، لقد ثار شعر رأسي ولم اكن اصلع كالليوم، وفي هذه اللحظة مر فصيل فرنسي على هذه الاجداث دون تورع وكانوا كلما داسوا على ساعد او ساق انتصبت هذه وهي ميتة، انه لمنظر مخيف لم يألفه الا الذين اوغلوا في القتل والقتال.

الفيت في جانب القتلى قطعة خشب ملقاة، فعبرت عنها فاستقبلني ضابط فرنسي جالس على برميل كاسف البال حزينا ومسدسه في يده، فأشار الي يستفسر عن الوقت فظننته يريد نقودا فأشار الي ثانية فظننت يريد الساعة فدفعتها اليه فابتسم وقبض على يدي ونظر الي ساعتني وعرف الوقت، ثم اشار الي بالانصراف فانصرفت فالفيت جماعة في غرفة على الطريق ظنوني مجنونا اسير على النار فسألتهم عن دمشق فادركوا انني عاقل، وأشاروا علي ان ادخل المدينة دون ان التفت الى البريطانيين على جانبي الطريق في باب العاصمة، دخلت المدينة واذا بالبريطانيين يلعبون ويمزحون مع جماعة من الشبان ولم يابهاوا بي وبلغت طريق (الترامواي) على حافة نهر بردى وقد تلبد الغبار على نظارتي وبلغ بي الجهد مبلغه، واذا بصوت من الخلف يصيح باسمي برهان؟ برهان فاستغربت والتفت واذا بصديقي وصديق اقاربي الشهم الغيور (بشير بك البكري) المحامي رئيس دائرة الاوقاف في دمشق فسرت كثيرا لتفقدته اياي في ساعة الخطر، في ساعة تذهل فيها كل مرضعة عما ارضعت، تعانقتا واركبني سيارة اخيه الوطني المعروف (نسيب بك البكري) وكان وزيرا انذاك وطار بي الى قرية -القابون- حيث مزارعهم ومسكنهم الانى بسبب الحرب فانزلني بيته والبسني (بجامة) اطول مني وكنت بلا امتعة واخذ يرعاني كأنني اخوه بعث من الموت، ثم اعلمني ان اهلي في جنين ظنوني قتلت في معارك العراق، وفي مساء الخامس والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٤١م وكنت في بيت الاخ بشير غارت طائرات فرنسية على دمشق وضواحيها وقذفتها بالقنابل قتلت كثيرين وقتلت من جملتهم واحدا واربعين عاملا في معمل واحد وسقطت قبلة بطول قامة الرجل على منطقة (الحرانق) في دمشق ولم تنفجر، وكان الغرض من هذا القصف اتهام غير الفرنسيين به، لعن الله المستعمرين (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد

خاب من حمل ظلما) صدق الله العظيم، ولكن اهل الشام العرب الاقحاح مشهود لهم بالذكاء والحنكة فقد ادركوا الغاية من القصف.

برمت من السكنى في بيت صديقي الكريم بشير بك فهربت من بيته العامر الى الفندق لنلا احجز حرите في بيته، وقد احب هو بقائي عنده فشكرت للبكري الكريم كرمه الذي قيدي به مدى الزمان ثم سكنت في حي المهاجرين، لقد أثرت الغربة والانفراد على اعصابي وعقلي كثيرا وكان السيد (ابو رسلان البرنجكي) صديق اقاربي يهون علي الغربة.

## في دمشق

كانت دمشق تعج مقاهيها وباراتها بجنود الحلفاء المعريدين وعلمت ان شباب دمشق الابطال كثيرا ما كانوا يصطدمون بهؤلاء الجنود المعريدين ولاسيما الاستراليين، ويلقونهم دروسا قاسية بالسلوك والادب، ان اهل سوريا عرب كرام، اهل نجدة وإباء ودين، إن منظر الجزيرة بين العراق الباسل وسوريا الشقيقة جميل رغم ان زرعها كان حصيدا، كما ان اهل الجزيرة ذوو شجاعة ونخوة، ان منظر دمشق الفيحاء صورة لجنة عدن، فبهذا اصفها ودواوين الشعر وكتب الادب تفيح فيها روائح الند والعنبر والمسك؟ قال الشاعر:

لولا دمشق لما كانت (ظليطة) ولا ازدهت ببني العباس بغدان  
وفي دمشق كلني نفر من شبابها ان القي قصيدة في حملة تأبين رشدي باشا الصفدي،  
غير أن الحفلة قد منعت فاثبت القصيدة في ديواني جبل النار- ومنها:  
اليكم شباب الشام قد جئت ناجيا من الغمرات السود في الشرق مرغما  
لعلي ارى قصر الخلافة فيكم فاقون ان الشام لازال مسلما  
وعهدي باهل الشام اسدا ضياغما باخلاقهم غنى الندى وترنما  
عليكم بجمع الرأي قبل انقسامه فان فساد الرأي ان يتقسما

## دخول فلسطين

برمت في دمشق من حياة بلا عمل وانا متخف، وانتابني هم شديد وكدت اجن، فقد كنت اخشى ان يقبض علي الفرنسيون، وفي يوم من الايام جاء ابن خالي " حافظ محمد" من فلسطين يفتش عني احي انا ام ميت، وجن جنونه اذ عثر علي واعلمني ان جماعة من اخوالي في زيارة لقريبتهم "محمد باشا السعد" وعشيرته في قرية (البارحة) الاردنية قرب مدينة اربد، وقفل ابن خالي عائداً ليبشرهم بوجودي حيا، وبعد ايام توسط لي جماعة من كرام دمشق فسمحت لي دوائر الامن فسافرت الى الاردن والتقيت باخوالي ومضيفيهم في قرية (البارحة)، وكان لقاءً وكان فرحاً، وبعد ايام سبقني الخال الوجيه "توفيق الحاج محمد" الى جنين ليبشر اهلي بوجودي حيا وبانني قادم اليهم، ثم حملني "محمد باشا السعد" الى بيتنا في جنين بعد تهريبي عن طريق مخاضة - العدسية- على نهر الاردن، ودخلت المدينة على حين غفلة من اهله متوجسا سرا من الانكليز وعلمت والدتي بقدومي فأغمي عليها من الفرح، اما والدي فاستقبلني مبتسما كعادته دون ان

تثور عواطفه ظاهرة، فانه رجل صلب يخفى الحنين وعواطفه الثائرة في كل مناسبة. بقيت اشهرا في بيتي متخفيا كما كنت اتوهم، والحقيقة ان ضابط الشرطة نصحه جماعة منا لينصح السلطة ان لا تجد في طلبي ولاسيما انني لم ارتكب جرائم اعتيادية كالقتل، وبالفعل فأنني اشهد الله انني لم اقتل احدا ولم أمر بقتل احد معين وان كان يتمنى اعداء الله ان اكون مجرما، فقد كان اعتمادي على الشعر والخطب في مقاومة اعداء الوطن من العرب بالنصح والارشاد، أني في ذلك شأن سائر شعراء فلسطين وغيرها كابراهيم طوقان وابي سلمى ومحمود الحوت وعبد الرحيم محمود وغيرهم، اما المستعمرون فكان قراعي اياهم في الادب وفوق الجبال في السلاح، مقتدياً بذلك بجهاد خالد بن الوليد وصلاح الدين الايوبي الذي حرر فلسطين وبلاد الشام ومصر من الصليبيين فافادوا واستفادوا، وقبر صلاح الدين الايوبي تحج الى ضريحه وفود العرب، أما قرية (حطين) والتي تقع بين الناصرة وطبريا فلا تزال جوهرة تاريخية، فقد بدأت معركتها يوم الجمعة في الثالث من تموز (ابي العجائب) فاستمرت النهار والليل الى صباح السبت من اليوم الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة ٥٨٣ هـ وفق الرابع من تموز سنة ١١٨٧ م كما جاء في كتاب مختصر تاريخ العرب لامير علي، وصلاح الدين ذاق الامرين من شعوبية (سنان) فقد كان يدس لصلاح الدين من يقتله، فأنذره صلاح الدين بهدم قلعته فارسل اليه (سنان) يستهزئ به بقوله:

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا	لانام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحمام على البازي يهدده	واستأسدت لاسود البر أضبعه
اضحى يسد فم الافعى باصبعه	يكفيه ما قد تلافي منه اصبعه

وكان سنان قد كتب الى صلاح الدين قبل ذلك يتحداه بقوله:

ان كنت تعلم كل ما علم الورى	طرا فانت صديق كل العالم
لكن جهلت فرحت تحسب ان من	يهوى خلاف هواك ليس بعالم
فاستحي ان الحق اصبح ظاهرا	عما تقول وانت شبه النائم

لكن صلاحا تغلب عليه اخيرا وقهره وسلطه على الصليبيين الذين كانوا يسلطون سنانا عليه.

## من عودتي الى جنين الى سنة ١٩٤٨ م يوم معركة جنين:

رجعت من دمشق واقمت في جنين بلا عمل وضقت ذرعا بحياة الكسل، أكل هذا الشقاء في سبيل بلادي ولا اجد فيها عملا احفظ به كرامتي؟، البريطانيون والصهاينة ينعمون بخير بلادي؟، يحق لي اذن ان اقول من شعري:

شر ما يجمع الرواة عليه	ارض عرب تملكها اليهود
وانكد العيش ان تببت ذليلا	في بلاد وانت بعض ثراها

وأ تذكر قول الموصلية وقد حرم من لقاء الخليفة:  
يا مشرع الماء قد سدت مسالكه  
لحائر حام حتى لا حراك به  
أما اليك سبيل غير مسدود  
محلا عن طريق الماء مطرود

وكان ابغض شيء الى نفسي ان اوظف في دولة رئيسها وحكامها من غير امتي (ومن يتولهم منكم فانه منهم) صدق الله العظيم.

لقد كنت فوق واجبي في المصرف اساهم في التوجيه الوطني في الجمعيات والنوادي والصحف والمظاهرات الوطنية لبث القوة ونبذ اليأس من نفوس الشباب الذين فر زعماءهم خارج البلاد ونام زعماءهم داخل البلاد لشدة ارهاب الانكليز واليهود ولل فقر المدقع الذي حل بالسكان ولتواطؤ رؤساء الدول العربية مع الاستعمار ولو ظاهرا ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية وقبيل وبعد معركة جنين التي نطق فيها القائد العراقي (مصطفى راغب) بقوله (الحمد لله انني مسلم تركي لا مسلم عربي) قالها كما بلغني لانه لمس تهاون الزعماء العرب الذين يرفضون الاقتراح البناء، وهناك الفريق (عبد المنعم رياض) الذي هاله خداع الحكام العرب في مجابهة العدو في معركة ١٩٦٧م حيث قال: (هذا خطأ السياسة العربية التي جنت على الجندية العربية قبل ان تجني عليها اسرائيل)، كما جاء في كتاب (اني اتهم) للاستاذ احمد الشقيري.

كنت في البنك اهين خطاب مديره (رشيد الحاج ابراهيم) الذي حدثني انه اختير لاغتيال (جمال باشا السفاح) العثماني، ولكن يده جمدت مذ رأى بريق عيني السفاح اعترف لي (رشيد الحاج ابراهيم) انه رئيس للماسونية في حيفا وانه يتملص بالتدريج لنلا يقتلوه، هيات له يوما خطبا ناريا القاه على الجماهير في حيفا فالتهبوا، ثم سلمني رسالة الى (صدقي الطبري) مدير بنك الامة في طبريا لالقيها في صندوق البريد اثناء ذهابي الى البيت فشككت في الرسالة ففتحتها (واستغفر الله) فوجدت الخطاب مع الرسالة التي ترجو من (صدقي الطبري) ان يسلم الخطاب الى مدير الاستخبارات في طبريا فطار صوابي وقلت (ولله في خلقه شؤون)!! .

في حيفا انتخبت سكرتيرا للمقر العام لجمعيات الشبان المسلمين فاقمت المهرجانات الحماسية لاجدد ثقة الشعب بنفسه يوم فر زعماءه بعد الحرب العالمية الثانية، وقد تحملت من ذلك الالهوال اذ طاردني الانكليز والصهاينة في كل مكان ودرسوا علي الدسائس ولكن الله مع الصابرين، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة. سكنت في حيفا في غرفة من مكتب اخي وصديقي المحامي صلاح العباسي اذ كنت عزبا وكتبت على بابها:

ان لي غرفة الفقير اذا ما جاءها اللص حاز خف (حُنين)

وسافرت مرة مع وفد الكشافة الاسلامية بحيفا ممثلا لجمعيتنا نقصد مصر الشقيقة فرحب بنا الجميع ، وخطبت في القوم مرات، والقيت قصيدة من المذيع انبه الشعب الكريم هناك من خداع الاستعمار، وعرفتهم بقضية جارتهم واختهم فلسطين، فارتاحوا كل الارتياح، وكان الشعب العظيم هناك عكس الملكية الفاروقية الفاسدة.

طلبت نقلني من البنك في حيفا، فنقلوني الى البنك في الناصرة فجابتهني مخاطر الدس مما عرضني لاذى كبير كاد يصيبني، فقد تصدت لي شرطة حراسة بيت الحاكم البريطاني

في الطريق ليلا وفتشتني وارهمتني بتهمة اني عدو الحاكم واستنتجوا ذلك من شعري  
ونثري في نوادي الناصرة وفي اخبار نقلها بعض ابناء العائلات المتزلفة، لقد كنت  
انصح في شعري السماسرة والباعة وغيرهم ان يرحموا امتهم، وانا عدو اللجوء الى  
قتل ابناء الامة لنلا يستفيد العدو بالاثارات فيشغلنا ببعضنا من قضيتنا ومثال هذا النص  
ما نقرأ في الصفحة الخمسين من مسرحيتي (وطن الشهيد):

لا تقتلوا الانسان فالله الذي ييني ويهدم فاعملوا بسداد  
الشرع اولى بالقصاص فعنده القسطاس فليحكم بحكم الهادي  
بالدين والاخلاق يصلح امرنا فانشرهما بالوعظ والارشاد

لكنني كنت عدو دوائر التحري الاستعمارية التي كانت بارشاد الصهاينة فهجوتها:  
أدائرة التحري ما دهـاك هدمت وقد قدرت على عداك  
ظلمت المؤمنين ولم ترقـي وسقت الى المشانق والهلاك  
وجرت على الخلى ولم تراعي بريئا توقعـين به أذاك  
تركت صغارنا تبـكي أباهـا وختت بان ربك لا يـراك  
وخلفت الارامل والثكـالى وقد فتكت بفـلذتها يـداك  
واقفلت السجون على ألـوف وسخرت النفوس على هـواك

وفي تلك الايام بلغ الجور البريطاني مبلغه، فنظمت هذين البيتين واذعتهما:  
عجبا لمن يبني ويسكن غيره قسرا ويمنعه اجور المنزل  
فاذا شكاه الى الحكومة أعرضت عنه وردته بقول مخجل

ولما زاد تهديدهم اياي ارتجلت هذا البيت واذعته في الناس:  
والله لو بددوا نفسي وما ملكت ما بعث ديني ولا ارخصت أوطاني

لقد كنت احرم نفسي من ملاذ الشباب وسهراتهم، ومن (السينمات) وامثالها ولاسيما  
وانا مغترب، وانفق نقودها على تحمل مؤونة الاغتراب المعيشية واقتناء الكتب، فكل  
نفقاتي على سفري ومعيشتي كانت من جيبي الخاص، لم استعن بلجنة او غيرها والله  
الحمد، وكم كنت اقضي الايام في اغترابي على الخبز والطماطا والزيتون والجبن، ولهذا  
اشرت في قصيدتي (ليلي العراق) المنشورة في احد دواويني (واقصد بها العراق):

لو جاءت الدنيا تهيل نضارها ما سيطرت يوما على اخلاقي  
نفسى اعز من الجبلا فلا ارى أحدا أدين له سوى الخلاق  
أدبي وديني سالمان وإن أكن بالمال قد مُنيت بالإخفاق  
ذكرت سابقا عن نقلي من (حيفا) الى (الناصره) ونسيت ان اذكر انني في حيفا تسلمت  
من صاحب مرآب عربي وريقة جاء فيها تسع مواد من اتفاق بين اليهود الشيوعيين  
وامثالهم من العرب هناك، تنص على اقامة دولة فلسطين كلها من الطرفين، ولكن

اليهود رفضها الا ان يكونوا النصف في الدولة، رغم قلة عددهم، فلم يرض العرب وقد دفعت هذه الوريقة الى جريدة سماحة المفتي في القدس فنشرتها فكان لها صدی واسع. في هذه الاربعينيّات صرح الرئيس (روزفلت) الامريكي الديمقراطي ومنافسه (ديوي) الجمهوري بان ابواب الهجرة اليهودية الى فلسطين يجب ان تفتح، كان هذا التصريح في تشرين اول سنة ١٩٤٤م من اجل انتخابات الرئاسة التي اعتاد الامريكان وغيرهم ان يبيعوا فيها العرب بيع السلع من اجل اليهود، وحكام العرب يسمعون ويزورون ويتزلفون الى اعداءهم.

لقد قامت عرفنا التجارية بمقاطعة البعثة التجارية الامريكية بسبب ذلك التصريح، وفي هذا الوقت صرح المارشال (جورت) حاكم مالطا ان فلسطين تخص جميع العالم، صرح بهذا اثر تعيينه مندوبا ساميا للانكليز في فلسطين، وصرح بذلك في الساعة التي كان فيها الاسطول الياباني يبارز الاسطول الامريكي وينزل به الضربات القاصمة، وفي السادس من الشهر الحادي عشر سنة ١٩٤٤م اطلق يهوديان النار الى اللورد (موين) وزير الدولة البريطاني للشرق في القاهرة، وبرغم هذا تجد الغرب عدوا للعرب والمسلمين ولم يقصر الانكليز في تنفيذ وعد بلفور، فهم من اجل حصد العرب في فلسطين انتدبوا البركادير (فرغوس) ليتولى رئاسة قوة البوليس السريعة حيث انتدبوه لانه ليس غريبا عن اليهود، فقد كان مساعدا للميجر "ونجيت" الذي نظم الجيش اليهودي (الهاغانا) وقاد الفصائل اليهودية يوم زحف الجيش البريطاني على سوريا اثناء الحرب العالمية الثانية، هذا ولا نزال نتودد الى كل اجنبي!!، يهجر بعضها بعضا من اجلهم (ومن يتولهم منكم فانه منهم) صدق الله العظيم، لاشك ان التماذي في القهر أمر مهلك ولذلك كنت أسري عن ذهني وقلبي بمادة من ذهني وقلبي وهي الشعر، فأقول:

وصنت النفس بالادب  
ولا الاسراف من اربي  
سلطان على غضبي  
ولم اخضع لذي رتب  
منايا الحرب بالهيب  
ولم اخشع لمنتدب  
بالرشاش والقضب  
واجني من جنى تعبي  
عن حب بلا طلب  
اعز لدي من نصبي  
نلبي المجد كالشهب  
ونبني البيت في السحب  
عفوا فهو من نسبي  
جافيه بلا سبب  
عن قصد ليسخر بي  
لوالدي ووجه ابي

جلوت الهم بالكاتب  
فما باللهو لي نفع  
صبرت النفس اذ للصبر  
ولم اخضع لظلام  
ولم اجفل اذا استعرت  
ولم انصت لذي هجر  
اقارع غلظة الجبار  
وتستعلي يدي كبرا  
وابذل للفقير المال  
فذي نفسي وذا حسبي  
اذا ما المجد نادانا  
نروي الارض من دما  
واحلم من اخي ان زل  
اعاتبه اذا ما ازور  
واجفوه اذا ما اشتط  
واحني هامتي طوعا

قال ابو محمد غانم بن الوليد المخزومي:

ثلاثة يجهل مقـدارها الامن والصحة والقوت  
فلا تثق بالمال من غيرها لو انه در وياقـوت

## الارهاب اليهودي

كان اليهود قد بدأوا بنسف مباني الحكومة في القدس على مرأى ومسمع المندوب السامي البريطاني، وقناصل دول العالم المتمدن، اما حكام العرب فكانوا حجر شطرنج في ايديهم، واستفحل امر اليهود حتى في الساعة التي تقلد فيها الجنرال (مونتغمري) قيادة الجيوش بعد انتصاره على المحور، وكانت عصابات (شترن) اليهودية اشد هذه العصابات، فقد علقوا ضباطا انكليز على الشجر واهانوا الكثيرين منهم وقتلوهم وقد خجل (مونتغمري) كما جاء في مذكراته وطالب بتأديب اليهود على يديه ليحفظ كرامته وكرامة جيشه، ولكن (لندن) لا تريد ، وامريكا بحاجة لأصوات اليهود، وحكام العرب تبع للمستعمرين، اذكر مما اذكر ليلة في القدس كنت جالسا فيها خارج مقهى في باب العمود واذ باشخاص يثبون ليلا من سيارة امامي ويمدون سلكا لم اتبينه ، وتبين فيما بعد ان فيه الغاما كاذبة، ثم هرب الاشخاص الى المنطقة اليهودية، ولم افطن في الظلام الى انهم ارهابيون يهود، وانتهرهم احد الجالسين حين هربوا فانتهروه أن أسكت ، واذ بجنود الانكليز تطوق المكان ويدخل نفر منهم شاهري السلاح فيخرجوننا من المقهى ولم نعرف السبب وكان الجيش البريطاني المسلح امام الالغام وخلفها جامدا في مكانه، واذ بشاب عربي يسخر من جبن الانكليز ويهجم على السلك وينتزعه ثم يلقيه في الهواء، فجن جنون الجيش لما فعله الشاب، ولكن الالغام لم تنفجر وفشل الانكليز، ثم سلطوا على الالغام رشاشاتهم فلم تنفجر لانها في حقيقتها فارغة، وبعد قليل اطلق اليهود النار فاشتعلت سماء القدس برصاص الانكليز ليوهموا العرب وقناصل الدول بان القدس مخيفة، وكان قصدهم من ذلك ان يهاجر منها العرب لتكون عاصمة لليهود، وهذا ما حدث اخيرا، فبالحيل والخديعة واللصوصية يريد اليهود بناء دولة مستغلين خشوع حكامنا العرب.

ولكن الشعوب العربية، والشباب المقبل الصاعد سيكون جوابه كجواب صلاح الدين وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص قبله (والله مع المؤمنين العاملين)، لا اريد في مذكراتي هذه ان اشرح قضية فلسطين، فذلك يمكن ان تقرأه في الوف الكتب وفي مسرحياتي الشعرية (وطن الشهيد) و(شبح الاندلس) و(الفداء) وفي دواويني الشعرية ودواوين غيري، لقد قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين على صغرها لينفذوا وعد بلفور، فهم لا يريدون ان يروا للعرب كيانا موحدنا مستقلا، ولا للاسلام كيانا بارزا ، بل يريدون ان يظل العرب والمسلمون في ركابهم وتحت اقدامهم، وهذا لن يكون فأن الله جنودا اذا ارادوا اراد( والله العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) صدق الله العظيم.

لقد مهد اليهود وحلفاؤهم في الغرب لتقسيم فلسطين بالارهاب، حيث هرب الانكليز السلاح اليهم ، اما العربي فكان مصيره الاعدام ان وجدوا في بيته خرطوشة، كما ان مصير من لم يسانداهم الموت كما حصل (لبرنادوت) مندوب هيئة الامم المتحدة. لقد ابرقت مدينة (نابلس) الى ملوك ورؤساء العرب تقول لهم (الى متى) فكأن الجواب كان (الى يوم القيامة) بدليل انهم الى الان لا يزالون (يحجون) الى رؤساء امريكا واوروبا ليعطفوا على (اللاجئين) لا على كرامة العرب المسلمين، كما انه ذرا للرماد في العيون حيث أمدونا ببنادق قديمة.

مما اذكر من مؤامرات الاجنبي، ان مصفحة يهودية دخلت سور (باب الخليل) في القدس ولما رجعت اقلت قنبلة على البانعين والوقوف العرب، فتطايرت اشلاؤهم، ولصق بعضها في السور، فأطلق عليها حارسا(البنك العربي) النار من البنادق، فتعثرت في سيرها وصعدت الى الرصيف من خوفها، ثم استأنفت قافلة في شارع (مأمن الله)، وهرب الجنود الامريكان واختبأوا في الحوانيت واقفلوا ابوابها عليهم، وهم المناظ بهم الفصل بين اليهود والعرب، اما نحن العزل من السلاح فلم نهرب، وانبرى طفل عربي في الرابعة عشرة من عمره فألقى عليها قنبلة يدوية مزقت عجلاتها، فمالت على جنبها عملا بقول ام كلثوم( وتميل عليه وتقول له وقعتني ما يصير كده) وهرب من في المصفحة على مرأى من جنود الانكليز، واهل فلسطين يستغيثون بملوك العرب ورؤسائهم كنافخ في رماد، وقد ارتجلت يومذاك ابياتا هي:

دع عنك لوم ملوك العرب وانصرف  
اما الملوك فدعهم في مضاجعهم  
ماذا عليهم اذا اكتظت بطونهم  
الى الشعوب فقد اشفت على التلف  
يستنزفون دماء الشعب بالتصرف  
وعاش سبعون مليوناً على الحشف

كنت في بنك الامة العربية في القدس، واسكن فندق(ماجستك) الواقع قرب البنك ، وفي منطقة الخطر المشتعل، فأقفر الفندق من نازليه، وبقيت وحيدا ، وكان فيه نفر من الشام ولبنان ادعوا انهم وكلاء جريدة (الجبيل) الدمشقية وغيرها، وفي احدى الليالي نزلت في الفندق فتاتان عربيتا النطق سافرتان، واختلطا بمراسل الجريدة السورية احمر الوجه والشعر، فاخنتني معهما عن الاعين، وعاد بعد ايام وادعى انه ساعدهما في بعض الامور فادرك الحاضرون ان الفتاتين يهوديتان من الحمر اشترك معهما رفيقهما السوري بالتجسس على العرب، واما مراسل جريدة الجبل واسمه (سعيد الدرزي) فقد كان يتردد على احمد حلمي باشا وعلى زعماء القدس ويطلب منهم احاديث للجريدة، وهم لا يرتابون به ، وكان يكلفه الباشا ان يأخذ قصائد من شعراء البنك مثلي ولكنها لا تنشر، وقد ظهر اخيرا ان هذا المراسل ضابط احمر من ضباط الحزب اليهودي في فلسطين برغم انه درزي عربي كما قيل، وقد قبض عليه جيش الانقاذ في دائرة البريد في مدينة(جنين) وهو يتسلم رسائل يهودية، فحكم عليه جيش(القاقوجي) بالاعدام، وعلمت انه هو الذي وضع اشارات معينة على بيوت في جنين فنسفها اليهود، ومنها بيت كان يسكنه قريبي الاستاذ (فهمي العبوشي).

بقيت في الفندق وحيدا وكان شباب القدس يحرسون بيوتهم بالعصي والمسدسات، ولما نشب الخطر في (جنين) استأذنت (الباشا) ليسمح لي بانتقالي الى جنين لاقوم بواجبي المقدس فانتقلت لاقوم بواجب الجهاد، وفي الحادي عشر من الشهر الاول لسنة ١٩٤٨م قدم الى جنين الاخ (عبد القادر الحسيني) بطلب من المفتي الحاج امين الحسيني، على رأس جماعة من (التكارتة) السود وغيرهم من المسلحين الابطال، واجتمع الى ابن عمي حلمي العبوشي رئيس البلدية، وجماعة اخرين من وجوه جنين، فأخبرني عبد القادر ان اتفاقنا في لبنان بانشاء قيادة في فلسطين لحرب فلسطين قد الغي لمجيء (القاوقجي) بطلب من الجامعة العربية، ثم اصطحبته الى قرية (رمانة) وهي قرية لاخوالي وغيرهم غربي جنين واشتهرت بجهادها بقيادة ابن الخال نجيب مصطفى الاحمد، الذي اصبح وكيلاً لعبدالقادر المجاهد في المنطقة، وقد ابدى نجيب الاحمد كفاءة واخلاصاً وتضحية.

## جيش الانقاذ في جنين

وفي الثاني والعشرين من الشهر الاول لسنة ١٩٤٨م مساء وصلت طلائع جيش الانقاذ الى جنين، وهذا الجيش شكلته الجامعة العربية من الدول العربية ليرابط في مثلث الرعب (جنين وطولكرم ونابلس)، وفي مناطق اخرى، وليحل محل الجيش البريطاني المنسحب من فلسطين على خط التقسيم، وصل هذا الجيش جنين فحل في قرية بيت قاد التي فيها مزارع عائلتي وفي قرية (اليامون) غربي جنين، ثم توزعوا الى قرى (المزار) و(فقوعة) وغيرهما، وكان قائد الجيش (فوزي القاوقجي) ومن ضباطه محمد صفا قائد منطقة جنين الذي كان يختارني لمرافقته بين خطوط القتال، والضابط (اديب الشيشكلي) والضابط (غسان) وجميعهم من الشقيقة سوريا، وكان جنودهم من حلب وحمّاه وطرابلس الشام ودير الزور، ومن العراق الشقيق، وقد ابدوا بسالة وتضحية فائقة، ولم يضع قبل انسحابهم شبر واحد من خط التقسيم الذي وقفوا عنده بامر الجامعة العربية والمستعمرين، وقد رأيت في مقر قيادة القاوقجي ضابطين بريطانيين من قيادة (ابي حنيك)، فعاتبته القاوقجي على ذلك في بيت السيد (حسني الحافظ الجرار) احد انسبائنا آل جرار الكرام في (جبع) القرية الجبلية القريبة من (صانور) المشهورة بثباتها في حربها "ابراهيم باشا المصري" حين قاومه آل جرار الكرام، واخوالي آل احمد الجابر في قرية (يعبد)، أقول عاتبته في ذلك، وقلت له امام ضباطه، ان الانكليز اساس البلاء، فكيف تجعلهم دواء؟ فقال اسأل الجامعة العربية التي قبلت بفرضهم علي، وكان ذلك بحضور المرحوم سليمان طوقان رئيس بلدية نابلس في بيت نسيبنا المحترم حسني الحافظ جرار.

لقد استشهد كثير من شباب جنين وقضائها في معركة (الزراعة) التي اطلع الانكليز على خطة الهجوم عليها، والتي اشيع ان الانكليز اوصلوا الخطة الى اليهود، وفي هذه المعركة استشهد نائب الضابط العراقي البطل (جوهر) كما سمعت، والبطل (سعيد البيطار) من شباب جنين، لقد اثنى (القاوقجي) على صراحتي امام الحاضرين، كما اثنى على اقربائي وعلى ابن عمي شوقي، مدير بنك الامة العربية في بيسان على ان الجيش سحب منها اخيرا ولم يخسر شبرا واحدا.

وفي الثلاثين من الشهر الثاني سنة ١٩٤٨م علمنا بمصرع اكبر زعيم معاصر في العالم هو (غاندي) الذي احيا الهند واخزى الاستعمار الغربي الذي مكر به ودس عليه بين الهندوس فقتل، قاتل الله الاستعمار والسائرين في ركابه.  
ان جيش الانقاذ لم يكن يقاتل وحده، بل كنا (اهل فلسطين) نعتمد على انفسنا وسلاحنا الصديء التركي البالي، يقودنا الايمان لاقتحام الجبهة حيث ترى فلول العدو هاربين كالغزلان والارانب، ولكن الجيش البريطاني في حيفا، وجيش الولايات المتحدة والمتطوعين المرتزقة من المانيا وروسيا (فرنسا وكندا وهولندا واشباهها)، كانوا ظهيرا للعدو علينا، فاصبحنا اليوم لا نستطيع النوم على الفراش الوثير كما نستطيعه بين الصخور، ويطون الاودية وفي ذلك اقول من شعري:-

لا اراني انام ليلي قريبا      وبلادي يعيث فيها الالاد  
كما أقول :

فلسطين من حيفا الى النهر موطني      تقر بها عيني ويخفرها قلبي

في الخامس من الشهر الرابع سنة ١٩٤٨ زحفنا على قلعة (مشار هاعيمك) ( ابو شوشة سابقا) مع جيش الانقاذ، وفي اليوم الثامن منه نعت اذاعة القدس استشهاد الشهيد المرحوم عبد القادر الحسيني في معركة (القسطل) قرب القدس بعد بذل وتضحية، ومثل هذه المعارك حدثت في مدينة الخليل البطلة، وفي جميع مدن فلسطين وقد ابلى شباب قضاء جنين وغيرها من مدن فلسطين بلاءاً منقطع النظير يحتاج الى مجلدات.

لقد كان بعض ضباط جيش الانقاذ يسلبون سلاح بعض شبابنا طمعا باثمانها، ولاسيما اذا كانت بنادق سورية بحجة ان الجيش السوري يتسلح بنوعها، لقد كان جيش الانقاذ مدافعا لا مهاجما ليحافظ على خط التقسيم، مما اغاظ شباب دير الزور وحماه وغيرهما ودعا بعضهم الى الانسحاب لانهم تطوعوا في جيش القتال للهجوم وتحرير الارض العربية.

وفي الخامس عشر من الشهر الرابع سنة ١٩٤٨م فوجئنا بانسحاب جيش الانقاذ من المعركة، وفي الواحد والعشرين من نيسان سنة ١٩٤٨ هاجم اليهود قرية (زرعين) شمالي جنين فهزمهم مئة بدوي اردني بقيادة ملازمهم سعدون ، وكن بعض البدو بلا سلاح وقد رأينا ما غنموه من اليهود. وفي الثالث والعشرين من نيسان سنة ١٩٤٨م سقطت حيفا بيد اليهود بعد معركة ضارية مع السكان العرب، وقد ساعد الانكليز اليهود في هذه المعركة، وجردوا الشرطة العرب من السلاح قبل بدء المعركة، فاضطر العرب ومعهم شقيقي الاكبر رشدي الى الرحيل عن طريق الميناء الذي سمح به الانكليز للمرور الى صيدا وبيروت وقصدهم بذلك اخراج العرب من فلسطين، وفي الثامن والعشرين من نيسان سنة ١٩٤٨ رد عرب يافا الابطال هجوم اليهود وطاردهم الى داخل تل ابيب الا ان الانكليز ردوا العرب ومنعواهم، ثم طلب اليهود هدنة كعادتهم فاستجاب العرب، وفي التاسع من ايار من سنة ١٩٤٨ اعلنت اذاعة القدس عن اجتماع (عزام باشا) امين

الجامعة العربية بالمندوب السامي البريطاني في (اريحا) واتفقا على اعلان هدنة من اجل جميع القدس، وبذلك يستعد اليهود من جديد، وكان الجيش العربي الاردني قبل ذلك بايام قد سحق مستعمرة يهودية قرب جسر "المجامع"، وفي الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨م انتهى انتداب الانكليز اللنام عن فلسطين، ثم رحل المندوب السامي بعد اذاعة النبأ بدقيقة واحدة، ودخلت جيوش الجامعة العربية حدود فلسطين واعترف الامريكان بالدولة اليهودية وتلتها روسيا، وفي السادس عشر من الشهر الخامس لسنة ١٩٤٨م وامام جيش الانقاذ انزل العلم البريطاني من على سارية دار الحكومة في جنين ورفع العلم العربي خفاقا فجن جنون الشعب الطموح.

ولا انسى معارك جنين التي حضرتها بنفسي قبل ذلك، منها ما شهده الاخ المجاهد "فوزي جرار" بنفسه وجماعته الكرام ، فقد امضى السنين الطويلة مجاهدا، وهناك كثيرون مثله لا تحضرني اسماؤهم ، وهناك المجاهد "نجيب مصطفى الاحمد" ابلى هو وجماعته المجاهدون البلاء الحسن في معارك جنين وبعد انسحاب الجيش العراقي الباسل، نترك امرهم جميعا لله لربنا الكريم فهو يثيبهم الجنة بفضلهم ورحمته، واذكر من الشباب احد اقربائي "حسني ابراهيم العبوشي" وكان في الرابعة عشرة او الخامسة عشرة من عمره، فقد هاجم خندقاً بمفرده بمسدسه فرموه قنبلة فلققت رأسه رحمه الله.

وفي الثاني والعشرين من ايار سنة ١٩٤٨م سمعت ان اذاعة دمشق اعلنت اجتماع الملك عبد الله والسيد القوتلي رئيس الجمهورية السورية والامير عبد الاله وصي عرش العراق والرئيس اللبناني بشارة الخوري وعزام باشا حول مائدة الغداء للتفاهم بعد القطيعة، وفي الرابع والعشرين من نفس الشهر تم رحيل جيش الانقاذ من جنين بعد ان باع بعضهم فراشا ومواعين استعاروها من اهل جنين كما باعوا اثاث مدرسة الذكور وادوات الطلاب ومواعينهم كما سمعت لا كما رأيت، اما انا فقد استعدت بعض ما استعاروه من بيتنا.

## مطاردة عملاء اليهود اياي

انتقل الان الى شرح بعض ملابسات عن ارض فلسطين وقضيتها، ان عملاء اليهود والانكليز وانصارهم يطاردون الفلسطينيين في الاسواق والملاجيء والمدارس ودور الحكومة والشوارع بحجة انهم يزاحمونهم في معيشتهم، ويعيبون عليهم انهم باعوا ارضهم، ان ذلك دس وافتراء لخدمة الصهيونية على اكتاف بعض شباب العرب العملاء، من ذلك ان الصهاينة في بغداد دسوا طالبا عربيا اسمه "قحطان" ممن ادرسه لينقر على كتفي في الصف قاتلا لي (حدد موقفك من اسرائيل، اسرائيل لها الحق ان تعيش كما تعيش انت)، كررها مرات وانا امره ان يجلس في مكانه واقول له (أنا طردت اليهود من فلسطين ام هم طردوني)؟ وكان ينقل قولي الى زمرته ذات الحبال والعصي الواقفة في باب غرفة الدرس، ولم ينصرفوا عني الا بعد ان تصدى لهم جماعة من الطلاب البعثيين والقوميين وامثالهم الذين يعتزون بوطنيتهم الصادقة، وحدث لي مثل هذا التحدي في مدرستي الحكومية وفي الثانوية الجعفرية المسائية، وفي الشارع في بغداد فلم آبه بهم لاني على حق، واني مضطر لذكر هذا فقد حدث هذا علنا سنة ثمان وخمسين وتسعمائة والى ميلادية وبعدها اثناء الحركات الشعبوية التي استغلها الصهاينة والاستعمار.

## ممارسات الإنكيز في إفقار العرب

اليكم الان بعضا مما تسرب من ارض فلسطين الى اليهود، ان ضرائب الانكيز الباهظة، واغراء اليهود للعرب افقرت العرب فاضطر جماعة من هؤلاء الى عرض ارضهم الى المزداد، فزاد عليها اليهود زيادات لا يقدر عليها العرب، وشجعهم الانكيز على ذلك، كما أن رؤوساً عربية من ملوك ورؤساء قدموا فلسطين وشعبها ضحية للاستعمار واليهود، وهنا تصبح جريمة بعض الفلسطينيين اخف كثيرا من جرائم رؤوس العرب الذين بيدهم الجيوش والحل والربط واليك ما فقد: ٦٥٠٠٠٠ دونم فلسطيني استولى عليها اليهود زمن الحكم العثماني بحجة انها اراض اميرية يريدون انعاشها، و ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم منحها حكومة الانتداب البريطانية لليهود دون مقابل وهي من املاك الدولة، يضاف لذلك ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم منحها الحكومة البريطانية لليهود لقاء اجرة اسمية وهي من املاك الدولة، و ٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من بعض اللبنانيين (كمال سرسق) و(التيان) والسوريين الذين كانوا يملكون اراض في فلسطين (كمرج ابن عامر ووادي الحوارث والحولة)، وغيرها، ومن هذا يتبين ان سبعة اثمان ما استولى عليه اليهود من الاراضي انما تسرب اليهم عن طريق غير طريق عرب فلسطين وان ما تسرب من عرب فلسطين هو مئتان وخمسون الف دونم فلسطيني اي مئة الف دونم عراقي او اثنان وستون الف فدان مصري لان الدونم الفلسطيني الف متر مربع تسربت هذه عن طريق تجويع العرب وافلاسهم بفعل قوانين صك الانتداب البريطاني بتجويع عرب فلسطين فقد كان لليهود سبعة في المئة من الاراض حين انتهاء الانتداب في الخامس عشر من ايار سنة ١٩٤٨م وهذه لا تشكل دولة. لقد خسرنا اثنتي عشر الف شهيد في معارك فلسطين الى يوم انتهاء الانتداب وضعف هذا خسرناه جرحي.

ونسف لنا الانكيز مدننا وعمارات كثيرة في (يافا واللد وجنين) وعشرات من القرى العربية واتلفت مزروعات اهلهامومواشيهم وممتلكاتهم، وتحمل عرب فلسطين هذا واضعافه ليكونوا درعا للبلاد العربية، لقد اراد الانكيز والامريكان واليهود ابعاد عرب فلسطين من القتال لانهم يعلمون ان عرب فلسطين قوم جبارون، شعارهم الله اكبر، والوحدة للعرب ولا اله الا الله محمد رسول الله، لقد سلمت قيادة الجيوش العربية يوم دخلت فلسطين الى الجنرال(غلوب) الانكليزي وامر الملك عبد الله بالغاء منظمة الجهاد الفلسطينية والقوى العربية الاخرى، وقف (هتلر) مرة في (الرشستاغ) وحرص المان (السوديت) على التحرير عام ١٩٣٨م قال(اتخذوا يا المان السوديت من عرب فلسطين قدوة لكم، انهم يكافحون انكلترا اكبر امبراطورية في العالم، واليهودية العالمية معا ببسالة خارقة، وليس لهم في الدنيا نصير او مساعد، اما انتم فاني امدكم بالمال والسلاح وان المانيا كلها من وراءكم).

## القيادة العامة للجيوش العربية في فلسطين

انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين، ودخلت جيوش العرب محررة كما يقولون، وحققتها انها انتدبت لتنفيذ مشروع التقسيم، وانسحب جيش الانقاذ ولم يفرط بشبر واحد من امانته، لكنه تخلى من مواقعه في الجليل وفي (صفد والناصره) لقله عدده

وعدته، اما المثلث الخصيب (جنين وطولكرم ونابلس) فقد كان حصة العراق يحكمه "طاهر الزبيدي" لتنفيذ التقسيم وكان "نور الدين محمود" القائد العام.

دخل المقدم "نوح عبد الله الجلي" الموصلية بمدفعيته فقط قائدا لمنطقة (جنين) فاحتل قلعتها الغربية الخالية، وقد بكى اهل جنين فرحا حين رأوا جند العراق البواسل قد خفوا لنجدتهم وارتبطت انا مع المقدم (نوح) برابط الاخوة تحمسا مني لوطني، ولتسهيل مهمة الجيش العربي العراقي مادامت في خدمة الوطن، اطمع في اقناعه بالزحف على حيفا، ولاقطع الطريق على اعوان (ابي حنيك) من ان يفسدوا رأي القائد ويضللوه، وكانت العلاقة قديمة بيني وبين اخواني العراقيين فقد كانت قبيل وفي معركة مايس سنة ١٩٤١ التي ساهمت فيها وساهم فيها اخواني الفلسطينيين وهي علاقة طبيعية بين العربي واخيه العربي، لقد جلا جيش الانقاذ عن جنين وبعد يوم هاجم اليهود قرية (زرعين) واحتلوها ولم يكن فيها انسان، فزحفت المدفعية العراقية وزحف مجاهدو قضاء جنين تحرسهم ثلاث مصفحات عراقية، فاخفقتنا في استرجاعها لان اليهود تمكنوا فيها وكان ذلك في الثامن والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٤٨م، وفي مساء الثلاثين منه اي بعد يومين احتل اليهود مخفر (اللجون) فاغتصبوه من سبعة من شرطة جنين دافعوا عنه ببسالة، تأمل سبعة عرب ببنادق عادية يقابلون الوفا مدججين بالسلاح والمصفحات ولكن قرية (اللجوي) صمدت بالمقاتلين منا ومن اهل القرى المجاورة وهزمت اليهود هاتفة الله اكبر، لم يستطع (نوح) ان يحافظ على الارض لان حكومته، كالقائد(طاهر الزبيدي) بعده لم يمدا الجيش بالقوة، فماذا يفعل القائد وهو يرى جنوده وعلى قتلهم يتميزون غيظا كما تميزوا على تلميذ قيادة نوري السعيد(طاهر الزبيدي) اخيرا ويتواثبون للقتال معنا ضد العدو المشترك؟ لذا جاءني (نوح) نفسه الى بيتنا واعلمني في الطريق سرا انه تلقى امرا بالانسحاب من (جنين) وتركها لليهود، فادركت حينئذ ان القيادة راضخة لامر (ابي حنيك) ومنه تتلقى الاوامر لانجاح مشروع تقسيم فلسطين لمصلحة اليهود، ولتوريث الجيوش العربية، كما عجبت بعد انسحاب الجيش كيف يرضى طاهر الزبيدي بهذا التواطؤ وهو ابن عشيرة وطنية محترمة، وطار صوابي وسألت (نوحا) أيرضى هو وجنده الابطال بهذا العار؟ قال بحماس (انا جلي) لن انسحب واترك اخواتي واخواني اهل جنين ذبائح لليهود، وقد عاهدني جنودي على الموت في جنين، ولكن اتضمن لي ثبات اهل المدينة عند الاشتباك؟ عهدوا لي ان انسحب، لنرجع فنهدم المدينة جنين على رأس اليهود، قلت يا نوح ابشر وتبشر بثباتنا، فمناضلونا جميعا يحرسون حاميتك ببنادقهم وقلوبهم، وها هم اخذوا مراكزهم شرقي المدينة وامامها، وهناك من غربها لي اخوال يحرسون مع الحارسين، وساطع لجنتنا العسكرية الالهية على ذلك، فوافق نوح رحمه الله وطيب ثراه ثم جمعتهم بهم ونفرنا جميعا نحرس ببنادقنا المتهرئة، وكنت قد اطلعت الاخ (رشيد مرعي) على ذلك وهو احد اعضاء اللجنة العسكرية، ان نوحا وجنده ابطال.

## معركة جنين

في الحادي والثلاثين من مايس سنة ١٩٤٨م قصفت طائرة يهودية مدينة جنين للمرة الثانية وفي الثالث من الشهر السادس سنة ١٩٤٨م هاجم ستة الاف من جيش اليهود

مدينة جنين عن طريق ارض (صباح الخير) في تل خروبة وصعدت لها الحامية العراقية القليلة، فقتل قسم منها وانسحب القسم الاخر على ركبهم الى القرى المجاورة وكان من مناضليهم الرئيس ( النقيب ) " عبد الستار السراج " الذي استقبله اخوالي في ضواحي قرية يعبد متخنا بالجراح، اما نحن (شباب جنين) فقد رابطنا خلف اخواننا العراقيين حسب طلبهم، لاننا غير مدربين ورابطت انا وجماعة اخرون من ابطال جنين قرب المدرسة الثانوية، شرقي المدينة، لم نكن منظمين وكان ذلك بعد منتصف الليل، وقد رأينا اطلاقات حمراء في الفضاء من (تل خروبة) مريض اخواننا العراقيين شمالي جنين، فظننا ان اليهود اندحروا فاستبشرنا، وبعد دقيقة سمعنا هتاف اخواننا العراقيين في التل (ولد العرب ولد العرب) ثم انقطع الصوت واطلاق النار دفعة واحدة، فادركنا ان القتال تحول الى السلاح الابيض الذي استشهد فيه اخواننا العراقيون الابطال وانسحب الاخرون فهالنا الامر واسودت الدنيا في وجوهنا واشرت على ابناء بلدي ان نتفرق بين الصخور للدفاع، فالموت خير، وانسحبت والاخ (ابو الشيخ) صوب المقبرة الشرقية منا، لنرابط هناك فالقينا قيادة اليهود هناك تدير حركة تطويق المدينة بالاسلحى وهم لا يشعرون بنا، وقاندهم ينادي بالاسلحى (موشي موشي قديما) فادركنا ان (موشي) هو قائد الالتفاف وكلمة (قديما) العبرية معناها التقدم، فأطلقنا عليهم بضع رصاصات في جوف الليل وخلال الشجر ونحن لا نراهم، فلم يجيبوا الى نارنا لانهم لم يتمموا التطويق، ولا يريدون فضح انفسهم وآثروا الامساك بنا، فانسحبنا انا وزميلي الى المدينة نقاتل هناك والحقيقة ان رصاصاتنا هذه افادت حامية نوح في القلعة، اذ نبهته عن وجهة التطويق، وفي طريقنا التقينا بمدركة عراقية واقفة على الاسفلت تطلق النار حيث كنا، وهذه المدركة كنت طلبتها من المقدم نوح ونحن خلف المدرسة بواسطة شاب نشط مخلص من جنين واطنه من "ال عراقوي"، وانسحبت المدركة لعدم جدواها منفردة، وكان على قرب منها غرفة يرباط فوقها السيد "ابو الخير" بسلاحه، وقد افهمنا قائدها بأنه يود الانسحاب حرصا على المدركة، ودخلنا المدينة لنقاتل واذا بالذعر والرعب والهجم والشقاء والعذاب في المدينة، لقد فزعت نساؤنا بلباس النوم وبرزن في شوارع المدينة معولات واطفالهن على اكتافهن وامامهن وفي بطونهن، ذلك ان اليهود دخلوا من اعلى المدينة من خلفها، ودخلوا البيوت ونحن نقاتل في الامام. فبقى ظهر المدينة بلا حراسة والجيش قليل العدد لا يمكنه الدفاع الا عن القلعة، ودخل قسم من سكان القلعة يحتمون باخوانهم العراقيين وفر قسم من السكان من بين الشعاب وبقي نفر يقاتل بلا نظام فتذكرت شعرا لعمر بن معدي كرب الزبيدي:

لما رأيت نساءنا	يفصحن في المعزاء شدا
وبدت (لميس) كأنها	بدر السماء اذا تبدي
نازلت كبشهم ولم	ار من نزال الكبش بدا
ذهب الذين احبهم	وبقيت مثل السيف فردا

نعم لقد استشهد ها هنا الاخ "داود الحوراني" والاخ "عبد الله البشبيشي" وغيرهما ممن لم تصلني اسماؤهم انزلهم الله فسيح جناته بلا حساب، هذا وفي هذه الفترة نشط

اليهود وجماعة ابو حنيك البريطاني يدسون الدسائس بين عائلات جنين فيتركون اوراقا مزيفة في ايدي المسؤولين ضد العائلات المناضلة والتي لها صلة تحالف وصداقة مع السيد المفتي الحاج امين الحسيني والمخلصين ليمزقوا سمعتها وشملها خدمة لجماعة (غلوب) فاتهموا "فيصل العبوشي" وآخرين زورا وبهتانا كما اتهموا شبابا اخرين وعائلات اخرى، وعاد ابو حنيك فاطلق سراحهم من السجن لبراءتهم جميعا وبراءة فيصل بعد ان تم ضم الضفة الغربية الى الاردن والعرب يجهلون ان هذا الضم يسهل عملية استيلاء اليهود عليها او على بعضها، وقد تمكنوا من الايقاع بسمعة شخص او اكثر من الابرياء بأنه تعامل مع اليهود وهو بريء ويثبت براءته اضطرار حكومة الاردن الى اطلاق سراحهم رغم حكم القيادة العراقية.

بدأ اليهود يقصفون (قلعة جنين) بالمدفعية ويرمونها بالرشاش ويهجمون عليها بالمئات وكان جنود العراق كجنود الرسول الاعظم في بدر على قتلهم وكان بينهم نوح يقود السفينة كالاسد الهصور، وكان والدي الكهل بينهم، جاء به نوح الى القلعة لحمايته ووالدي حدثني عن بسالة نوح وجنده، اما انا فقد اشرت على شقيقتي سنية ووالدي المسنة ان تنسحبا حيث ينسحب الناس فقد اصبح بيتنا هدفا للعدو لانه في وجه المعركة وكذلك البيوت المجاورة، ولا تزال آثار القنابل والرصاص على اعمدة البيت وفي زجاجه، لم ارافق والدي وشقيقتي بل تفرغت للمقاومة وقد علمت انهما وسائر النساء كن هدفا لرصاص اليهود مع علمهم بأنهن نساء.

واما شقيقتي (جمال) ابو (هلال وبلال ونبال) حرسهم الله، فقد ظل وجاره (عرسان) صاحب المقهى هدفا لقنابل اليهود التي كانت تنهال على البيوت الامنة، لقد رأيت ان اتحصن وبعض الشباب بجبل (ابو ظهير) الذي يقع جنوبي جنين على طريق نابلس ولم نكن نعلم ان اليهود زاحفون عليه لتطويق جنين من الغرب عن طريق قرية (برنين) وزيتونها الكثيف، فصعدت الجبل تحت القنابل ورأيت الاهوال في الوادي، رأيت امرأة "أم احمد العنبتاوي" في النزاع الاخير من الحياة رموها اليهود تشخص الينا ببصرها فقد استقر الرصاص في احشائها رحمها الله، تركني رفيقي السيد محمد وصحبي رفيقي الاخر السيد سعيد فرابطنا على الجبل، وكنا نسمع اليهود الزاحفين يخاطبون قيادتهم اليهودية بالاسلكي باللغة العبرية قائلين (ابو رضا التفاف) وهذا يدل على ان بينهم عربا من الدرور كما علمت، اما الالتفاف فهو التفاف الجيش العراقي زاحفا لنجدة نوح وحاميته، تحصن رفيقي سعيد واهملت نفسي وكان الى جانبه امرأتان عربيتان فاطلق اليهود النار على احدهما لانها رفضت الشخصوس اليهم وشتمتهم فقتلت رحمها الله، وفتحوا علي جحيم الرشاش وظهري اليهم، فتظاهرت بالموت فاخذ رفيقي سعيد يرثيني سلفا، فقلت له لا شجعه، اسمع يا سعيد الا تذكر يوم كنت اخطب فيكم احثكم على الجهاد بالسلاح، فان لم تجدوا فبالعصي والحجارة، فان لم تجدوا فباسنانكم؟ وكان الرصاص يسقط قرب رأسي.

ثم الفيت انني مستشهد لا محالة، فابتسمت وشعرت بالسكينة وقد نزلت على قلبي من الله ربي الذي لا اعبد الا سواه، ونظرت الى السماء فتخيلتها بلون اوراق الجنة، وتخيلت الملائكة وسيدنا الخضر عليه السلام يطوفون السماء ونظرت الى اسفل مني الى (مرج

ابن عامر) فرأيت سنابله تموج كموج البحر لذعر اليهود فيه، يحدون عن رصاص جنود العراق في القلعة.

وانشغلت اذناي بهتاف القضاء والقدر يقول لي (انسحب.. انسحب. انسحب) الف كلمة في اللحظة، كاضطراب الاصوات في آلة المذياع، فاعتقدت انني مستشهد لا محالة، فتناولت مئة دينار كانت في جيبتي لم اكن لا املك غيرها لاحرقها، ومزقت رسائل من الهيئة العربية العليا ارسلوها الي لامدهم باناشيد وطنية، اما الفلوس فلم يكن لدى رفيقي نار وانا لم اكن من المدخنين.

جمعت نفسي كالقط او الاسد، وقفزت قفزتين متعاكستين الى الامام، واستلقيت فاصابتني طلقاتهم في كتفي، ونجوت حيث كنت في مكنن الشهادة التي ارجوها، ثم هرولت على الجبل واطللت على طريق (عين نين) في طريق نابلس فالفيت جنودا عرفت بعد ذلك انهم من اخواننا الاكراد العراقيين، والعرب جاؤا جحفا من العراق لنجدة (نوح)، وكان بينهم جماعة من شباب جنين المناضلين فتذكرت صلاح الدين، وان هؤلاء الاكراد الكرام احفاده استجابوا لدعوة الحق، فجاؤا ليجددوا معركة حطين، تذكرت نساءنا المشردات ورجالنا واطفالنا وما كاد يؤول اليه حالنا، والفيت جيش العراق الى جانبي يغيث حاميته، ويعيدنا الى مدينتي (جنين) فانها لتدموع فرحا، والجند يعالجون جرحي في كتفي، ثم منعوني من مواصلة القتال وانا جريح، وسرت في الطريق العام واذا بمجاهدينا من قرية (قباطية) وغيرها لابسين اكفانهم البيضاء يهللون (الله الله الله) وهم في طريقهم الى جبل (ابو ظهير) فسبحت لله العظيم، وبعد قليل شاهدت جماعة من جنود العراق يقودهم المناضل (شليمون) كما علمت يزحفون من مفرق (قباطية) الى (ابو ظهير) حيث رماني اليهود المظلون على قلعة جنين من الخلف فصرخت في (شليمون) اعلمه نبأ المجاهدين ذوي الاكفان لنلا يحسبهم عدوا.

وبلغت زيتون (قباطية) فوجدت اهل بلدي يستترون ذرا شجر الزيتون والفيت خنادق الجند العراقيين وهيئة اركانهم على كتف الطريق وفيهم (سيد جاسم محمد) فنبهتهم الى ضرورة الحذر من تطويقهم من طريق قرية (يعبد) فتبينوا كلامي على الخارطة امامهم، فعززوا جسر (يعبد) بالمدركات كما اشرت عليهم، اما الخرائط التي امامهم فلم تكن الا تلك التي كانت تهيئها دائرة المساحة العامة في فلسطين، والتي غرز الانكليز فيها اسماء مستعمرات اليهود الجديدة، ليثبتوا حق اليهود في فلسطين، وليس لدى الجيش العراقي خرائط معدة مما يدل على انهم لم يكونوا قد استعدوا للامر من قبل. وقد علمت ان زحفهم على (جنين) كنجدة لم تكن مقررة، فقد كانت وجهتهم غير هذه الا انهم اضطروا فجأة الى نجدة حاميتهم في جنين ليطردوا اليهود الذين علموا بخطة جيش العراق الاولى، فهاجموا جنين ليحولوا الجيش عن خطته المبيتة، لقد صح لدي ما كان حدثني به المقدم نوح حين اعلمته ان اهل جنين يستغربون قصفه اليهود دون ان يحتل مكاتهم ، او يسترد ما يحتلون من قرانا، فقد اعلمني ان الاوامر تقضي عليه بذلك حتى اذا احتل اليهود جنين عاد جيش العراق فهدم جنين على رأس اليهود، وهذا رأي المثل (احرق البلد واخرج منها) الا ان نوحا وعد ان لا ينسحب، وقد انجز حر ما وعد، فاتقذ جنين واهل جنين رحمه الله ورحم جنده، وكل من جاهد هناك.

دخل جيش العراق جنين لينجد الحامية وكان قائد الجيش العقيد "صالح زكي توفيق"، فأخذ نوحا وحرر المدينة وفتك بجيش اليهود فتكا ذريعا وطارد فلولهم وأذ بالهدنة، لعنها الله، تعلن في الحادي عشر من يونيو سنة ١٩٤٨م، وكان اليهود لا يزالون يشرفون على جنين من تل (خروبة) وهو يبعد عن بيتنا شمالا أكثر من كيلو مترين بقليل، وكنت كلما فتحت باب بيتنا الشمالي اراهم امامي من بعيد فيحترق قلبي من الهدنة، ولوان جيش العراق ظل زاحفا لاحتل (حيفا)، وقد كادت تستسلم على يد رئيس بلديتها العربي ولجنة من اليهود لولا الهدنة، لقد ابلى في هذه المعركة البطلان عمر علي وشليمون بقيادة القائد صالح زكي توفيق ولكن القيادة العليا رفضت الزحف الى حيفا لانها انتدبت قوتها للوقوف عند خط التقسيم خدمة وتنفيذا لوعده بلفور وقد قامت القيادة بهذه المهمة رغم انف جند العراق الذين اندفعوا بضباطهم لاحتلال حيفا ومسح وعد بلفور من الوجود.

اذكر من معاركنا تلك انني سرت نجدة لعشرة من جيش العراق مقابل قرية عربونة واخذت موضعي القتالي وأذ برصاص العدو ينهال علي كالمطر، فقال لي الضابط العراقي واطنه تركماني الاصل سيفقتلك رصاصهم لانك في مكان طردناهم منه، فسلمت امري لله وسلط عليهم الضابط الكريم رشاشاته فاشغلهم عني، فقفزت الى مكان اخر ثم لحق بنا السيد سامي وهو من اخوالي وبصحبه نفر من شباب جنين اذكر منهم السيد مصطفى فقمنا جميعا واحتلنا مزرعة للذرة بيننا وبين اليهود المرابط على الجبل، وكان هذا في رمضان ثم اخذ الجيش العراقي على عاتقه بقية العمل.

ان ما يمتاز به اليهود من الشجاعة هو تمثيلهم بالقتلى وحرقتهم للاطفال احياء، وقد سمعت انهم اسروا شابا اعزل واحرقوه بالنفط وهم يرقصون وفعلوا مثل ذلك بشاب اخر وارادوا به ما اردوا في الاول لولا قنبلة عراقية سقطت قريبا منه فهربوا وهرب الشاب العربي الى جهة اخرى ونجا، وحدثني بعضهم ان اليهود دخلوا على رب عائلة عربي في كهف هو عبد السائح فذبحوه امام اهله كما سمعت، اما عن دير ياسين فحدث ولا حرج، وحسبك المرأتان اللتان قتلوهما امامي لانهما هاربتان ولان احدهما رفضت الشخصوس اليهم، على ان غيري رأى اضعاف ما رأيت من هذه المخازي، الا انني كتبت وهو لم يكتب، ولمن يكتب؟ يكتب للعرب وهم اخصوه وذلولوه وسلموه وشردوه، ثم اخذوا يقتلونه ويمثلون به، وها هو المتنبي يقول:

عدوا له ما من صداقته بد  
وحسب المنيا ان يكن امانيا

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى  
وكفى بك داء ان ترى الموت شافيا

هكذا كان حكامنا القدامى.

وفي الثاني عشر من يونيو سنة ١٩٤٨م نقض اليهود الهدنة التي كانوا لا يحافظون على شرفها بل يستغلونها فيعتدون ويتوسعون مما حدا بالعرب ان يترحموا ويحزنوا على فراق جيش الانقاذ الذي لم يسلم شبرا واحدا من فلسطين، هذا وحكام العرب ساكتون، وفي التاسع من الشهر السابع سنة ١٩٤٨م انتهت الهدنة واغارت طائرات العراق على مراكز العدو في (خروبة)، وفي المساء بدأت مدفعية العراق تقصف حتى

الصباح، وفي الصباح هاجم الجيش العراقي (تل خروبة) ونحن (شباب جنين ونساءها) بصحبتهم، وطردنا العدو من قرى عديدة واحتلناها، واذ بالانباء تشير الى سقوط مدينتي (اللد والرملة) بيد العدو بعد ان اخلاها جيش الاردن القليل العدد، فانكشفت بذلك عورة الجيش المصري الباسل الذي كاد أن يصل الى (يافا) زاحفا على (تل ابيب) ولو تم ذلك لقبر(وعد بلفور)، ولكن ضعف الملوك والساسة وخبث الغرب يريدان عكس ذلك، وفي الثامن عشر من يوليو سنة ١٩٤٨ غزونا نحن (المجاهدين من جنين وقراها) مخفر (اللجون)، واعلنت الهدنة الثانية، وقبلها الحكام العرب، وفي التاسع عشر منه (اي بعد يوم) قصفت طائرات العدو جنين، وهدمت بيوتا فيها واذكر انني قبيل عيد الاضحى كلفت ان احيي جنود العراق، وبارك لهم بالعيد وهم يستحقون فارتجلت هذه الابيات:

اي بشرى ازفها للجـنود	وهم رافلون في يوم عيد
اي قول اقـوله بالتهاني	والكلاب اليهود جاسوا حدودي
فاذا ما افتخرت كنت كذوبا	واذا ما بكيت غظت حدودي
واذ ما سكت مت سـقيما	واذا ما نطقـت هجت حسودي
يا جنود العراق لا تسمعوا لي	فكلامي كالنار ذات الوقود
يستمد الحماس من الم الشرق ومنكم ومن ريف البنود	

وفي الثلاثين من الشهر التاسع سنة ١٩٤٨ م سمعت بأعلان (حكومة عموم فلسطين) في غزة حيث صار رئيسها "احمد حلمي باشا"، وفي هذا الوقت كان اخواننا المصريون الابطال يقارعون العدو وحدهم في صحراء النقب، وكانت البوارج الانكليزية والامريكية تقصف العرب من شواطئ غزة وقبلها قصفوا الناصرة من حيفا ليخرجوا جيش الانقاذ العربي فتأمل جيدا ايها القارئ، وفي السادس والعشرين من الشهر العاشر سنة ١٩٤٨ م هاجمنا قلعة اللجون شمالي جنين بالمجاهدين تساعدنا المدفعية العراقية بالقصف فقط وكان اليهود قد زرعوها في طريقنا الغاما كنا قد اقتحمناها، ثم انفجرت من خلفنا، ثم أنجدنا بعض اخواننا من جنود العراق، وكان القائد العقيد (صالح زكي توفيق) والمقدم (عبد الرزاق محمد علي الجنابي) قائد المدفعية على مقربة منا، وفي الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ م زار جنين الامير عبد الاله لتفقد الجيش العراقي، كلفت بالقاء ابيات، فصممت ان اعبر له بادب وحذر، عن سخطنا لنلا يظن اننا ممتنون قانعون بوقوف الجيش على خط التقسيم فقلت:

زرتنا والناس في كرب شديد	حبذا لو زرت في اليوم السعيد
يا وصي الفيصل الماضي الا	سرت بالجيش الى خلف الحدود
حدنا البحر فلم نبقي هنا؟	اطلق الجيش يطوح باليهود
ان تقم صهيون في ساحتنا	دولة يا ذلنا بعد صعـود!!

وهناك قصائد اخرى لي عن العراق بعد النكبة تضمنت ذكر الملك الطفل، علماً أنني كنت اضطر الى ذكره بصفتي ضيفا على العراق ويجب ان احيي شعب العراق برأسه مادام العراق قابلا به ملكا صغيرا، لقد كان يوعز لي بعض مدراء المدارس التي ادرس فيها

في العراق، بعد الانسحاب من فلسطين، ان اذكر الملك الصغير لان المعروف عني انني دخلت العراق انذ لاحرض عشائر العراق من اجل فلسطين، وبذكر الملك في شعري امن شر من يريد الشر بي، وقد بت مشرداً في الافاق، وضربوا لي مثلاً بذلك ابن العراق الشاعر الجواهري الذي كان يذمهم ويمدحهم في آن واحد.

في تلك الفترة ضمت الضفة الغربية الى الاردن ومن المضحكات ان نوري السعيد قام في السادس من الشهر الاول سنة ١٩٤٩م فشكل وزارة جديدة وعطل (البرلمان) مدة شهر، واعلن مقاومته للدولة الصهيونية في فلسطين، متى اعلن ذلك؟ ابعد خراب فلسطين لا البصرة كما يقول المثل وبعد ان طبخت الطبخة، انه اراد بذلك ما اراده غيره من رؤساء الوزارات والوزراء والنواب والاعيان وغيرهم في جميع بلاد العرب او اكثرها، اراد المتاجرة بأسم فلسطين وبذلك اقول:

اضحت فلسطين شاة تستدر وما هناك من عرب يرجى به عضد

ما هي الرحمة يا حكام العرب؟ كتب "افلاطون" الى "بقرط" رسالة يسأله عن الرحمة، فكتب اليه "بقرط" اما احق الناس بالرحمة فثلاثة: البر يكون في سلطان فاجر، فهو الدهر حزين لما يرى ويسمع، والعاقل في تدبير الجاهل، فهو الدهر متعب مغموم، والكريم محتاج الى اللئيم، فهو الدهر خاضع ذليل، واما تضييع امور الناس، فاذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه، واما ما تلقى به النعمة من الله، فبكثره الشكر، ولزوم طاعته واجتناب معصيته. **(عن كتاب نفع الطبيب ج ١).**

والان لنعد الى القضية، لقد انسحب الجيش العراقي من المثلث مضطراً، فقد دب الخلاف بين الدول العربية لمواقفها مع الاستعمار وخوفها منه، انسحب جيش العراق من جنين مخلفا لشهداءه الابرار نصبا تذكاريًا في مفرق قباطية جنوب جنين كما اقيم نصب اخر في جنين تثميناً وكريماً هشداء ابناء جنين وقضائياها اقامة الجيش العراقي، انسحب جيش العراق وضباطه ليكون ويمزقون ثيابهم من الغيظ، ولأنهم لم يحرروا الوطن السليب الذي مزقته السياسة والتواطؤ والخذلان واذكر من هؤلاء الضباط الكرام " اكرم احمد" و"الحاج محمود شيت خطاب" و"عمر علي" و"زكي صالح توفيق" و"امين بكر" و"عبد الرزاق محمد علي الجنابي" ونسيبي "ثابت مشتاق" و"شليمون" الذي ابلى البلاء الحسن، و"محمود محمد نوري النصار" الذي اقترن ابني البكر "سماك" بابنته وغيرهم، وهاجت بي الالام فانشأت مسرحية (شبح الاندلس) الشعرية، ونشرتها (دار الكشاف) في بيروت، ولقد علمت ان هذا الجيش الباسل المنسحب قد استقبله اهل بغداد الكرام بقشر الرقي والبطيخ مما يشير الى تحمس العراق جميعه للعروبة، وما الذنب ذنب الجيش المخلص المضحي، ولكن ذنب الحكام انذاك، اما الجيش فقد ابلى البلاء الحسن، ولم يكن العدو ليرهب غيره، وكان العدو يفر امامه ويحميه جيش المجانين لبسالته.

بقيت في جنين حائرا واللاجئون يملأون بطاح الارض ورباها، واليهود امامهم يزرعون ارضهم ويأكلونها واللاجئون تحت رحمة وكالة الغوث، وقد تعطلت اشغال غير اللاجئين،

فلا تجارة ولا اعمال، ولكن ثمة ضرائب ومكوس ظلما وبهتاننا ليسندوا ميزانية الدولة التي كان يمدّها الانكليز حينئذ، فكان أن ولى كثير من شباب فلسطين صوب الشرق والجنوب، صوب الاقطار الشقيقة ليجدوا عملا وبعد ان نجح المتأمرّون في سرقة سندات بنك الامة العربية في جنين وكنّت محاسبا له وكان ابن عمي "فهيم العبوشي" مديره، بعد ذلك ذهبت الى بيروت لطبع مسرحيتي (شبح الاندلس) وعرجت على العراق لزيارة شقيقتي هناك وحملت معي بعض كتب المطبوعة.

## في العراق ثانية

آل الامر في الضفة الغربية الى (ابي حنيك) واصبح هو الحاكم بأمره، وصادف مرة انني كنت في (البنك) في جنين منفردا، فالفيت الشرطة وكان قائدهم ابن عمي (نور العبوشي) يستعرضهم (ابو حنيك)، فحنقت كثيرا، ودارت بي الدنيا والهّم والاسى واذا باصبعي تضغط على زناد مسدس لي اقتضت ظروف المعركة ان احمله كما يحمل جميع الشباب مثله خوفا من مباغته العدو، ضغطت على زناد المسدس دون وعي، فانطلقت الرصاصة الى جهة مجهولة و(ابو حنيك) اسفل مني وانا في الطابق العلوي، واذا بالشرطة تدخل علي وتساؤني بلهفة، اهاجم احد على البنك؟ فاجبتهم ان المسدس صدمه دفتر الحسابات حين دفعته فاندفعت الرصاصة فاكتفت الشرطة بهذا الجواب الكاذب.

سافرت الى بغداد بكفالة الاستاذ "طالب مشتاق" شقيق نسيبي "ثابت مشتاق" الذي كان قائد مدرعات في معركة جنين، وازمعت على الرجوع ولكن صديقي "فؤاد جميل" المفتش الاختصاصي للغة الانكليزية في وزارة المعارف رحمه الله حبب الي البقاء في العراق ادرس فيه العربية وايدّه في ذلك الاستاذ "محمود شكري" مدير التعليم الثانوي انذاك، واصدر امر تعييني مستخدما اجنبيا في متوسطة مدينة الشامية من لواء الديوانية، وهناك امضيت سنتين جميلتين مع السكان، الاخوان الطيبين والطلاب النجباء، واصدرت خلال تلك المدة مسرحيتي الشعرية (عرب القادسية) ليقتدي بهم الابناء في تحرير بلاد العرب.

ومثل الطلاب هذه المسرحية وغيرها في الشامية والديوانية، وكنّت خلال ذلك اذهب الى الصيد بدعوة من صديقي الاستاذ الحقوقي "هديب الحاج حمود" ورأيت لديه طيرا اسمه برهان على اسمي، الا ان له منقارا بطول ساقيه واخره كالمعلقة، ونظمت هناك القصائد والحفلات، وكان مدير متوسطتنا المرحوم "محمد باقر حسين كليدار الشيباني" ينصحنى ان اذكر العائلة المالكية لا دفع عني اتهام عداوتي اياها بسبب ضياع فلسطين والحقيقة انني لم اعد احدا معينا، ولكني انتقد بحرارة وصراحة سياسة جميع رؤوس العرب لا فردا معينا.

في صيف تموز سنة ١٩٥٠م اكتسبت الجنسية العراقية، فمكثت ست سنين احرم رواتب الصيف ونصف غلاء المعيشة، وقد حاول كثيرون من ذوي الوطنية انصافي، منهم السادة "عبد الله محي الدين" والدكتور "محمد حامد الطائي" والدكتور الاديب "عبد الرحمن خالد القيسي" والاستاذ الاديب والعلامة "محمد بهجت الاثري".

وفي سنة ١٩٥١م هب الاستاذ "عبد الرسول نجم" فنفذ امر الوزير المنصف الاستاذ "الواعظ" وساعده الدكتور الاديب "احمد عبد الستار الجوارى"، نقلت من الشامية الى

مدينة سامراء المشهورة كعاصمة للخليفة المعتصم ادرس في ثانويتها فالتفت القاصد، ومكثت فيها ثلاث سنين خلفت فيها اخوانا كراما، وسامراء على هضبة عليها (الملوية) المشهورة وقصر المتوكل وبقرها خلف النهر قصر العاشق، وفيها سبع عشائر مشهورة وفيها ترعرع طفلي الاول (سماك) فقد تزوجت وانا في سامراء من عائلة (الحافظ) الموصلية المشهورة بسعة تجارتها، ثم نقلت الى النجف الاشرف مدرسا في متوسطة (السدير) بعد ثلاث سنين امضيتها في سامراء- سر من رأى، فامضيت في النجف الاشرف سنة واحدة، ومن طرائف ما شاهدته في سامراء انني دخلت غرفة مسكني وقد كنت عزبا، فالفيت احدي ببيضتين وضعتها على المنضدة مشطورة نصفين وهي مسلوقة ولم اجد لبها فاين ذهب والبيضة لم يفتت قشرها؟ والبيضة الثانية غير المسلوقة الفيتها فارغة من لبها ، وليس فيها كسر واحد او ثقب فكيف اخرج بياضها وصفارها؟ سألت الناس فضحكوا وقالوا هذا عمل القط الماهر الذي يتقب البيضة بمخلبه الدقيق، ويمتص ما في البيضة.

ومدينة النجف الاشرف هي ملاذ علماء الشرع الشريف وفيها مثوى سيدنا علي عليه السلام، وقد القيت في نادي الرابطة الادبية فيها محاضرة وشعرا في شهر رمضان المبارك وهي معقل من معاقل العروبة والاسلام.

وبعد سنة في النجف الاشرف نقلت الى ثانوية الحلة، والحلة مدينة جميلة واهلها عرب كرام، وقد ساهمت فيها في بعض الحفلات الادبية وبعد سنة في الحلة نقلت الى متوسطة نجيب باشا في بغداد وذلك بعد تثبتي على ملاك وزارة المعارف كما ذكرت انفا، كان ذلك في صيف ١٩٥٦ م ، لقد كان اليهود واذنابهم والشعوبيون يسوءهم وجودي، فكانوا يدسون علي في كل بلد نزلته، بل في كل مدرسة الى لحظة تقاعدي، وسبب ذلك قد تأصل من شغبهم ضدي وضد المتصرف "ماجد مصطفى" سنة الاربعين في العمارة يضاف اليه ، وهو الاهم، جهادي ضد وعد بلفور والاستعمار، لقد بلغ من شغبهم انهم رسموا شعار اسرائيل-النجمة- على مروحة سقفية في احد صفوف مدرسة الثانوية المركزية في بغداد التي ليس فيها طلاب يهود، وقد شهد هذا صديقي الاستاذ "تحسين القيسي".

كما كتبوا على جدر الصف كلمات مدح لليهود، وقد عزي هذا الى الهدامين المستأجرين للصهاينة، والى المرتبطة قلوبهم مع الدول الاجنبية بالوانها المختلفة، وفي سنة تسع وخمسين وتسعمائة والى نقلت الى الثانوية المركزية في بغداد وبقيت فيها ثلاث عشرة سنة حتى تقاعدت.

## ثورة العراق في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨

كثر تبرم الامة العربية من حكامها الجائرين الضالعين مع المستعمر الغاشم، وكان لنكبة فلسطين اكبر الاثر في اشعال ثورة النفوس في بلاد العرب اللهم الا نفرا ظاهر الصهاينة عن طريق المباديء المشتركة.

ومن شدة هذا الضغط انفجر بركان (مصر) على يد جيشه الباسل وشعبه الكريم، فطارت الملكية واستقرت الجمهورية التي حررت واممت وانارت، وتبعها الاردن فطار (ابو حنيك) الملك غير المتوج كما صورته بعض مجلات بريطانيا وتبعه لبنان، وفي الرابع عشر من ثورة تموز سنة ١٩٥٨ م شبت ثورة تموز في العراق فأطاحت بالملكية وارتست

قواعد الجمهورية ، وحاول البعض حرفها عن هدفها فعدلها المعدلون الحريصون ولا تزال الى هذه السنة ١٩٧٧ تسيير من حسن الى احسن، فقد امتت ونظمت وانهضت الزراعة ومشاريع اخرى سيذكرها المؤرخون.

واعلنت الثورة تبنيها لقضايا التحرير في البلاد العربية ولاسيما في فلسطين التي اكثر من ثلث سكانها عشائر عراقية دلفت مع الخليفة عمر (رض) والبطل صلاح الدين لتحرير القدس، وبعد ايام فوجئت بقرار محكمة اردنية تدينني فيه بالقاء قصيدة من مذياع بغداد عن هذه الثورة، وذهب الجيش الاردني الى بيت ابي في جنين فاخذوا رسمي من بيتي الذي اقتحموه رغم والدي مع انني كنت في بغداد، وقد استنكر الناس هذا الحكم الغيبي الذي ليس فيه شاهد غير ان الملك الحسين اصدر عفوه العام اخيرا، ولقد شهد العراق بعيد هذه الثورة مذابح مروعة قام بها جماعة يعرفهم احرار العراق ويعرفون لونها، ان هذه المجازر استهدفت هدم صرح الاخوة بين القوميات المتآخية، والطلاب في مدارسهم، الا ان احرار العراق ومخلصيه ضربوا الشغب ضربة قاصمة اخرست مستعمر الارض ومستعمر العقل، وترى الجميع الان في اطار واحد يشتركون في وحدة التنظيم لتعمير البلاد، والاشتراك فيه الى مصير واحد يسعى فيه الجميع في وطن واحد، يتسم بالحق والعدل والحرية والمساواة وتحرير بلاد العرب بصراحة واقدام وهذا ما ارجو ان يدوم، سلم الله العراق وشعبه من يد الاذى والكيد والدس وخديعة الاستعمار فان العراق من اعظم اركان العروبة والاسلام وهو جمجمة العرب ولا ريب.

## ثورة ١٧ تموز سنة ١٩٦٨ م

في صبيحة ١٧ سنة ١٩٦٨ م تسلم (البعث) زمام الحكم دون ان يسفكوا دما وكان قائدهم (احمد حسن البكر) الذي اصبح رئيسا للجمهورية، واعلنوا تمسكهم بمبادئ حزبهم (الوحدة والحرية والاشتراكية) وتشكيل مجلس قيادة لهذه الثورة يدير شؤون البلاد، ثم اخذوا يظهرين البلاد من الصهاينة العملاء، واستوردوا اسلحة حديثة ومدافع بعيدة المدى، واسهموا في عون الفدائيين الابطال، كيف لا وهم منهم وان كانوا من فلسطين، واعفت الحكومة الفلاحين من اثقال كثيرة لانهم عمود الوطن، واقامت المهرجانات الادبية ومنها مهرجان سنة ١٩٦٩ م الذي خصص لفلسطين، وحضره اكثر من مائة شاعر من اقطار العرب، وكنت من ضمنهم والقيت فيه قصيدتي (الفدائي) ومطلعها:

ذل البيان وساء فيه المنطق لغة المدافع والقنابل اصدق

وقد تلاه مؤتمر ادباء فلسطين في القاهرة فألقيت في مهرجانه قصيدتي:

مالي اراك غدوت سيفاً مغمداً والسيف اجود ما يكون مجرداً

لقد أمم مجلس قيادة الثورة النفط، فحفظ بذلك ثروته ولي ابيات عنه في ديواني (الى متى) واعطى المجلس الاخوان الاكراد حكمهم الذاتي ضمن وحدة العراق، وسوى خلافه

مع جارته ايران، وطبق نظام المحافظات، ودرّب الفتيات على السلاح، وشكل الجبهة الوطنية، وادم المشروعات التي كانت قبله، وسيتم اعجابنا حين ينقذ فلسطين التي ثلثها من عشائره، وفي بغداد اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين الذي انا عضو فيه وينتمي اليه كثير من حملة الشهادات العليا، وقد اسهمت فيه انا وغيري من كبار الادباء بندوق ادبية رائعة، وفي بغداد جمعية اخرى للادباء كأحدنا، ولكليهما مجلة تنطق باسمه، وللفلسطين مؤتمر للكتاب مشهور بنشاطه، اسهمت فيه بشعري في (غزة) و(مصر) وله فرع في بغداد، اتمنى له ولا مثاله التوفيق في وعي الامة وخدمة الاسلام والادب.

## حرب حزيران سنة ١٩٦٧م

امدت اميركا وانكلترا والمانيا الغربية الصهاينة في فلسطين بسلاح كثيف، كان العرب يستهزءون بمقدرة العدو المقاتل، وفي الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧م هاجم الصهاينة سوريا فانجذتها مصر، ولم يقدم العراق في عهد الرئيس عبد الرحمن عارف الى قلب المعركة الا عددا يسيرا من جيشه قاتل بشجاعة في الضفة الغربية من الاردن، اما العدد الاكبر من جيش العراق فكان لا يزال زاحفا، فالوقت لم يسعفه اذ اعلنت الهدنة بسرعة وانسحبت الجيوش العربية، وقد رأيت الرئيس (جمال عبد الناصر) في (تلفزيون) بيروت يخطب من مصر، ودمعة تنحدر امامه اسفا للنتيجة، ويعطن استقالته التي رفضها العرب في كل مكان لاختلاصه.

كنت قد سافرت للتطوع فسمعت بالهدنة في (ابي الشامات) السورية، فحزنت كثيرا وبالطبع اخذ (موشي دايان) يمشي كالطاووس متبخترا مفتخرا بالنصر الذي منحه اياه الاستعمار وتفكك الحكومات العربية.

في هذه المعركة استولى الصهاينة على (سيناء) حتى (السويس) وعلى الجولان وعلى جميع فلسطين، واذكر انهم حرقوا بقنابلهم في جنين عمي الكهل (عبد الرحيم العبوشي) وبيته، واضافوا لاجنين عربا الى لاجنين خارج فلسطين، وهاهم اليوم يسرعون في تهويد القدس وغيرها ببناء مستعمرات جديدة في الضفة الغربية، رغم انف العرب المتهاكين على التفاوض الذي هو اعتراف بالوطن القومي اليهودي، الذي نرفضه ونقاومه مدى الحياة، كما نرفض جميع وعد بلفور، ففلسطين من البحر الى نهر الاردن الى حدود لبنان وسوريا ومصر هي للعرب.

## حركة الفداء في فلسطين

الفداء جهاد بالناس واستماتة، والفدائي قلما يفكر بالعودة من عمله الفدائي سالما، كان الفداء في فلسطين قبل سنة ست وثلاثين وتسعمائة والف، ففي ست وثلاثين نسفنا وهاجمنا الاعداء في الليل والنهار، وقبلها قام الشيخ البطل (عز الدين القسام) وصحبه الكرام بعملية فداء ثورية استشهد فيها، ولا تزال حركة الفداء الى اليوم تفعل فعلها، ففداء في الجو، وفداء في البر، وفداء في البحر وحسبك ان تعلم من فدائينا (ليلي خالد) البطلة، والبطلة (امينة دحبور) وغيرها.

وفدائيونا مشهورون بحزام الموت ينسفهم وينسف الغرض الذي استهدفوا نسفهم (على وعلى أعدائي).

عبر مذكراتي هذه ، أعلن تمنياتي ورجائي أن يتم توحيد جميع فدائينا فيصبحوا جبهة واحدة، فهم أمل الأمة العربية وبلسم جراح العروبة والاسلام والمظلومين في الارض نصرهم الله، لقد الفت في بغداد مسرحية شعرية متواضعة أسميتها " الفداء "، طبعت ونشرت واني لا عجب لامة لا تفتخر بفدائيبها ولا تسهل لهم سبل التصرف والحركة، مع انه سيفها المصلت على رقاب الاعداء فهل تفهم هذا حكوماتنا؟.

## حرق المسجد الاقصى

في شهر آب اللهاب من سنة ١٩٦٩م حرق اليهود المسجد الاقصى المبارك على يد مسيحي استرالي (كما يدعون) متآمر مع اليهود، ولقد هبت القدس بمسلميها لاطفاء حريق مسجدهم الكريم، ولكن الجنود اليهود اعاقوهم ليتم التهام النار مسجد الله، كما أقدمت (واشنطن) على عرقلة شكوى العالم هيئة الامم، الا ان مجلس الامن قرر ان لا يغير اليهود شيئا من معالم القدس، انه حبر على ورق، ولا يحل المشكل الا بعزيمة ابنائه، وكيف يكون ذلك والدول العربية متخاذلة!؟.

## مصرح جمال عبد الناصر

هذا هو القائد الذي كان يرد على الضربة بمثلها، وقد اختاره الله الى جواره في ساعة الحاجة اليه رحمه الله، اما اعماله فتركها للتاريخ.

## حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣م

تغطرس اليهود كثيرا على العرب، وظنوا انهم هم القوة التي لا تقهر، وفي ليلة ظلماء اكتسح الجيش العربي المصري خط (بارليف) الذي فاق خط (ماجينو) في اوربا، واستولى على الخط وسيطر على الميدان، واكتسح الجيش العربي السوري هضبة (ال جولان) وحرر الكثير منها لولا قبول العرب للهدنة.

وقد اسهم جيش العراق الباسل في معركة (الجولان) اسهاما فعالا، وقدم ما يجب عليه من تضحيات، كما ساهم المغرب العربي في تلك المعركة بجنوده البواسل وقدموا ما يجب عليهم، وقد ذكرت ذلك في قصيدة نشرتها في ديوان (جنود السماء) المطبوع (بالرونيو)<sup>(١)</sup>.

تدخلت امريكا ودول غربية اخرى، واملت ارادتها في تثبيت الهدنة المشؤومة، وعلى كل حال فقد علم العالم شجاعة العرب ورفضهم للضيم واتحادهم في الشدة، حيث ينسون كل خلاف، ولا يريد ان اعلق باكثر من هذا لان الرأي الحر يستنكره البعض ولكني ارجو ان يتقي الحكام ربهم في المعارك القادمة ويعتبروا من السابقة قبل ان ينفجر بركان

---

(١) قامت لجنة إحياء التراث الأدبي الفلسطيني في الكويت وبجهود مشكورة من الأديب الأستاذ حلمي الزواتي بطبع الديوان على نفقتها عام ١٩٨٥.

العرب في كل مكان، وقبل ان تضيع زعاماتهم على يد اصدقائهم الاعداء. في هذه المعركة اسهم جيش الاردن العربي، وشباب الفداء الابطال من فلسطين وغيرها ، وكتيبة من الكويت الشقيق في ارض مصر ، وطائرات ليبية شقيقة استعملتها مصر. ولكن الذي يرجوه الشعب العربي ان ترمي الامة العربية وحكامها المتهاونون بثقلهم وايمانهم لآبادة العدو لا ان يتظاهروا بالاخلاص.

## ارتيريا العربية

هذه ارتيريا (العربية) تناضل الحبشة وحدها ببطولة وبسالة، وقد عمل حكام (اثيوبيا) على اباداة الشعب العربي هناك، اذ سيطر الاحرار الثائرون على معظم ارتيريا وحرروها من العدو الاثيوبي الذي تسانده اسرائيل وغيرها من الدول الكبرى، فهل قمنا بواجب الاخوة وغوئهم؟!.

## اقليم جيبوتي العربي يستقل

استقل إقليم جيبوتي العربي وانضم الى الجامعة العربية، نرجو له كل سعادة وتفاهم واندماج مع جاراته العربيات، وحرسه الله من الطامعين والحقه بشقيقاته الكبرى عملا بنظرية الوحدة العربية التي هي سلاح العرب القوي في الهيبة والاستقلال والسعادة.

## الحج الاول والثاني والثالث

قامت بفريضة الحج سنة ١٩٧٤م، فاطمان قلبي واستراح خاطري، كنا في الحج قرابة مليون ونصف حاج يسود فيهم الامن والنظام وينتظم فيهم الاكل والشرب والنام، وتعف السننهم وتنقى قلوبهم وتسموا افكارهم، يرون الجبال السوداء في مكة والمدينة السوداء وكأنها نور ينبثق بالايمان، فهم لديهم ابهى من معالم السياحة في اوربا وامريكا وغيرهما.

سافرنا الى المدينة المنورة فمكة المكرمة مارين بالكويت والرياض الشقيقتين نهله ونسبح للذي خلق ثروة النفط تحترق في صحراء نجد، وهدي ملايين القلوب والافئدة لتلبية دعوة (ابراهيم) عليه السلام ليرشد الخلق الى بقعة يقبع فيها اهله وهو مغترب يدعو الى اعلاء كلمة الله، وهو النبي الذي عليه ان يلبي امر ربه، ومن عجب ان ترى ملايين الفقراء من افريقيا واسيا سبقوا الاغنياء في تلبية امر الله، وفي مجلة (الكتاب العراقية) تجد لي قصيدة متواضعة تشرح هذه الزيارة المباركة فالحمد لله.

بعد رجوعنا من مكة المكرمة بمدة سمعنا بمصرع الملك فيصل آل سعود على يد ابن اخيه، وانا لله وانا اليه راجعون، رحم الله الملك واعان الملك خالدا خليفته على اداء رسالة العروبة والاسلام كاملة لا أمت فيها ولا عثار مقتديا بصحابة رسول الله من نكران الذات في سبيل الله وتحرير بلاد العرب ورفع راية الاسلام والعروبة خفاقة لا تدين لراية غيرها، هذا ما اتناه من جميع الحكام العرب، ثم حججت ثانيا وثالثا، وكانت الاخيرة عن والدي رحمه الله.

## الصهيونية عنصرية

في نوفمبر سنة ١٩٧٥م قررت هيئة الامم ان الصهيونية عنصرية وقد ثار مندوب الولايات المتحدة، وهدد بقطع المعونات عن الدول المشتركة في ادانة الصهيونية، وهكذا يظهر وجه الاستعمار البشع، فهل تسمع الدول العربية صديقة (واشنطن)؟!.

## فاجعة لبنان

قامت في لبنان (القطر العربي الجميل) مذابح مخيفة استهدفت جميع سكانه، علاوة على ابناء فلسطين من عزل ومجاهدين، وقد اصبحت امور مذابحه ودوافعها معروفة، والخاسر فيها العرب والرابح فيها الصهاينة والاستعمار فمتى يتم لبلاد العرب امنها؟ ومتى تتحاشى العقول دس الدساسين الاجانب في اثاره الفتن بين الاشقاء، ان الصهاينة يخافون من تسوية قضية فلسطين ورجوع النازحين العرب اليها، لقد قرر مؤتمر الرياض في الشهر العاشر سنة ١٩٧٦م انتداب ثلاثين الف جندي كقوة ردع تعيد الامن والصلح في لبنان.

## زواج ولدي البكر (سماك) (١)

في الحادي والثلاثين من الشهر السادس سنة ١٩٧٥ تخرج ولدي (سماك) من كلية العلوم ببغداد بشهادة بكالوريوس علوم (فيزياء)، وفي مساء الواحد والثلاثين من الشهر السابع سنة ١٩٧٥ عقد قرانه على زميلته (راجحة) بنت العيد المتقاعد محمود محمد نوري النصار الذي اسهم في معركة جنين سنة ١٩٤٨م.

لقد اهدت (راجحة) زوجها (سماك) مولودا ذكرا اسمياه (عمر) فرقيته برقية الرسول الكريم لحفيديه الحسنين رض الله عنهما: (اعيدكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة)،

وقد اثر عن الرسول الكريم قوله (العين حق والعين تستنزل الحالق) وقوله (لو كان شيء سبق القدر لسبقته العين) وتجد مثل هذا البحث في سورة يوسف شرح الطبرسي، وانا الان بانتظار فرحي بزواج ولدي (حسن) وفقه الله واسعده، هذا مع ايماني بقضاء الله تعالى وقدره.

---

(١) سماك هو احد نجمين في السماء يطلق عليهما " السماكان "، يعرف الأول بالسماك الأعزل ويعرف الثاني بالسماك الرامح، كما جاءت تسميته تيمناً بالصحابي الجليل "سماك" بن خرشه ويكنى بأبي دجانه صاحب العصابة الحمراء والذي استشهد في موقعة أحد .

## السادات في القدس

في ليلة عيد الاضحى المبارك ١١/٢٠/١٩٧٧ م نزل في القدس التي تحتلها "اسرائيل" العدو انور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، للبحث مع حكومة السفاح (مناحيم بيجن) في انهاء القتال وارساء قواعد "السلام" كما يزعمون، وخطب الرئيس السادات في (الكنيست) الصهيوني وتودد كثيرا ليثبت لهم ان العرب مسالمون.

لقد تفرقت كلمة الحكام العرب، وهانت نفوسهم فلم ينفعهم صديق شرقي او غربي، كما لم ينفعوا انفسهم وبلادهم الا بالشعارات التي يظنون انها تخدع الشعب ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وندائي ورجائي الى حكامنا العرب: ساعدوا بعضكم بكل مواردكم حتى لا تياس بعض اقطارنا فتستسلم للعدو فيضيعوا وتضيعوا معهم ، ولا تنسوا للعدو شعاره ( من الفرات الى النيل الى يثرب)، واحصروا ثروات نفطكم على نفع الجهاد العربي لا على لندن وامريكا وباريس، ان سمحتم بشبر من ارضكم فقد سمحتم بالعرض والشرف وبالخطر الابدي يجتاح ذراريتكم.

ان العدو الصهيوني سيحضر مؤتمر القاهرة، من قبل اليوم كنت اتمنى ان تبذل دول العرب الغنية في سبيل مصر لتسد حاجتها السلاحية والقوتية فلا تستدين من روسيا ولا تقع فريسة لاغراء المستعمرين الذين تسببوا في تدميرها لتحتاجهم مصر وترضخ لمشيئتهم انتصارا للعدو اليهودي الذي هو بمثابة مقلب للاستعمار، لقد ساعدت بعض الدول العربية مصر بملايين (الدولارات) كما اعلنت السعودية والكويت وغيرهما من دول الخليج العربي وكما اعلن السادات نفسه، ولكنه يؤوس لا يحمل عزيمة الابطال الصادمين، والسفا على حاكم مصر يفضل القوت على الكرامة، ومصر هي كبرى دول العرب، ومربض كبير من مرابض الاسلام والعروبة والعلم والقوة.

هذا وقد اعلن الرئيس احمد حسن البكر دعوته لمؤتمر عربي مصغر في بغداد، دعا اليه الرئيس السوري حافظ اسد، وفي هذا ازالة الخلاف بين الشقيقتين العراق وسوريا بأذن الله، والوفاق هو ما تحتاجه امتنا العربية الى الابد لأنه سر كرامتها وبقائها محترمة.

واملي كبير بجيوش الشعب في سوريا ومصر والاردن والعراق وغيرها، ولاسيما في العراق الذي انجب (نبوخذ نصر وصلاح الدين)، وبرسالة الاسلام التي انجبت (خالدا وسعدا وعمروا بن العاص وعقبة) وانجبت خلفاء راشدين يحاربون من اجل عقال منعه المرتدون عن الاسلام ونشروا الإسلام بالحق والصبر والجلد.

وقديما قال ابو بكر الصديق (رض) لخالد بن الوليد (رض) (اطلب الموت توهب لك الحياة)، وقديما قال الإمام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) : ( ان الله فرض على ائمة العدل ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس حتى لا يتبيغ بالفقير فقره).

## فلسطين كلها للعرب

وانا كعربي ومسلم اشعر بسكين تقطع قلبي حزنا على امتي العريقة التي تسلم عرضها للعدو ويعبث بها ولا تموت دونها، وفي هذا قال الشاعر العربي :

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانب الدم  
وقال المتنبي:

وحارب اذا لم تعط الا ظلامه

شبا الحرب خير من قبول المظالم

واقول انا:

لبسنا لبوس الحرب لا سلم بعده  
ومن رام عز العيش ضحى بماله  
وليس لدى قومي سوى النار والقنا  
ومن زرع الارواح في روضها جنى

## عملية كفر قاسم والهجوم على جنوب لبنان

قام ابطال من الفدائيين العرب بغارة جريئة على ضواحي تل ابيب في فلسطين، فقتلوا وحرقوا واستشهد قسم منهم، وكانت منهم الشهيدة (دلال سعيد المغربي) رحمها الله، وقد اعجب العالم بهذه الغارة التي هي جهاد في سبيل الحق السليب، وفي يوم الاربعاء في ١٥ من اذار سنة ١٩٧٨م هاجم الصهاينة جنوب لبنان برا وبحرا وجوا لتصفية المقاومة الفلسطينية وملاجئها، واعلنوا انهم سيقضون على المقاومة في يوم واحد، ولكن الفدائيين الاسود اثبتوا انهم حلفاء الموت، فكبدوا العدو خسائر كثيرة، وصدوا ودحروا العدو وجيشه الثلاثين الفا ودباباته وطائراته وهم اربعة الاف فدائي يجاهدون بالبندقية والايمن، ومن حولهم جيوش العرب جامدة كأن حكوماتهم ليست من العرب، بل من المستعمرين، ولا يزال القتال في كر وفر الى هذا اليوم الاثنيين ٢٠ اذار ١٩٧٨. واوعز الى مجلس الامن فاتخذ قرارا بانتداب قوة دولية الى جنوب لبنان واعلن العدو انه لن ينسحب حتى تنسحب المقاومة من جميع لبنان، كأن العالم عالمه!، ولا شك انه يعتمد على الولايات المتحدة التي يخضع لامرها جماعة من حكام العرب، لقد فنى خلق كثير من اخواننا اللاجئيين العزل وا اسفاه، فاعجب لشعب عربي فلسطيني يبذل من اجل العروبة كلها فيضربه الابدون والاقربون من عبيد الاستعمار.

## مؤتمر كامب ديفيد مؤامرة

في اليوم الخامس من ايلول سنة ١٩٧٨م اجتمع (كارتر) رئيس الولايات المتحدة وانور السادات رئيس مصر و(بيغن) رئيس وزراء اليهود الصهيوني في مؤتمر (كامب ديفيد) في الولايات المتحدة من اجل تسوية القضية الفلسطينية، وكانت النتيجة مخزية للعرب، وعارا وشنارا على العروبة والاسلام، وقد وافق عليها السادات، لان العدو سيجلو عن سيناء ومستوطناته فيها كما صرح الرئيس السادات، اما الجولان المحتل فلم يجر بحثه في المؤتمر ولم يعترف بمنظمة التحرير، واما الضفة الغربية فسيجري عليها الحكم الذاتي المزيف.

اما انا فلم اقع بالرفض العربي قولاً، فالرفض لا يكون الا بالاتحاد والتضامن والزحف الجهادي لذك "اسرائيل" المزعومة التي تتأمر معها بعض دول الغرب، وبغير ازالة "اسرائيل" المزعومة فإن أمتنا لا تنعم بالا، وهذا ينطبق على قولي السابق وكانت النتيجة ان تبادلت مصر و"اسرائيل" فتح السفارات بينهما، فاین العرب؟!  
اما انا فاقول:

فلسطين من حيفا الى النهر موطني  
تقر بها عيني ويخفرها قلبي

وأقول في موضع آخر:  
من كان يطمع في الخلود  
ففي فلسطين الخلود  
ابوابها الفولاذ  
تفتحها المدافع والجنود  
في قلبها سكن الشهيد  
وبالشهيد غدا تعود

اما الاحتجاج الذي يمارسه حكامنا العرب على الورق فانه (مساخر) ومخادعات، وهذا ما بينته في قصيدة سابقة لي منها هذا البيت الشعري:  
وذوو الجلالة والسمو سلاحهم إن ارغموا، برقة المستنكر

وفي الختام احمد الله تعالى على الاله واصلي واسلم على نبيه الكريم محمد وعلى آله وصحبه، اغاثنا الله ونصرنا وندائي الاخير الى زعماء العرب من حكام وغيرهم(هبوا موحدين وجاهدوا ولا تفاوضوا والا فمصيركم عند المستعمرين كمصير شاه ايران اسأل الله تعالى ان يوحد الشمل وان يلهمنا ويلهم حكامنا الوحدة والجهاد قبل ضياع دنيانا وأخرتنا) واستغفر الله والحمد لله.

## ملاحق وهوامش

### أولاً - مثلث الرعب ( جنين - نابلس - طولكرم )

جنين ... مدينة صغيرة قديمة اتسعت بمقدم اللاجئين، ومن يستولي عليها يسقط في يده المثلث الذي يسمى ( مثلث الرعب ) كله والذي يضم أيضاً مدينة نابلس وطولكرم ويقطع طريق (اريجا) عن القدس، ومن هنا كان اهتمام الانجليز ومن قبلهم بها، واهتمام اليهود بالسيطرة عليها.

لا تزال ثمة اثار لسور ضخمة في جنين احاطها الترك به، وكانت تقع فيها معارك بين جنود الترك والسكان، ولا تزال في مقابرها الشرقية قباب لضباط عرب وترك قائمة هناك، منهم عز الدين، وطربية والشيخ غنايم، وقد ظنهم الناس اولياء فراحوا يندرون لهم النذور، ومن الطريف انها اصبحت بعد ذلك وكرا للعابثين، وقد حدثني بعض اهل بلدي، بقصد الترفيه، ان باب احد هذه القباب كانت تعلوه قطعة طويلة من الرخام، فسرقها سارق ليحمل بها باب بيته، وافتقد السكان رخامة (ولي الله) فلم يجدوها فقامت القيامة في جنين، فأشاع أخذها انه رآها تطير الى دمشق غضبا على السكان، فحزن الناس لغضبها عليهم، واغتنم الرجل هدوء القوم فأعاد الرخامة الى مكانها في هدأة الليل لانها لم تناسب باب بيته، ثم اشاع ان الرخامة رجعت، فقامت افراح الناس، وكان هذا بالطبع في عهد الترك عهد الخرافات والتجهيل، ومن هذه النوادر ما كان يقع بين

قرى (طولكرم) في فلسطين كالذي يقع في الشام بين حمص وحماة وفي كثير من بلاد الدنيا.

اما طولكرم قسبة بني صعب فهي كأختها جنين من حيث العائلات والميزات الحسنة وهي عروس سهل يافا ووادي الحوارث، وقد فجعتها الخرائط المزيفة التي تحدثنا عنها آنفا اذ لم يبق لها الا المدينة الباسلة وبعض القرى العربية الكريمة المناضلة، ومن كلمة (بني صعب) تعلم انها عربية محضة كوادى الحوارث ومرج ابن عامر، والحديث عن نكبة فلسطين مقرح للعين والقلب، ولكن النكبة سترتد على الصهاينة والاستعمار وعلى من ظاهروا واعانهم فعرب فلسطين خلاصة العرب الامجاد، اصف اليهم اخوانهم الكرام في بلاد العرب، ستعود جميعها للعرب كما عادت زمن صلاح الدين بفضل وعي امتنا ونبذ انقسامها وندم حكامها واندحار الاستعمار والعملاء والصهاينة، وازدهار روح الوحدة الهادفة العاملة، وتغلغل حب الجهاد في نفوس حكام المستقبل ومجموع امة العرب والاقحاح ومن آمن بالله العزيز الجبار من المسلمين الاكراد احفاد صلاح الدين وغيرهم، واما (نابلس) فتاريخها قديم جدا، والاستفاضة فيه يعوزنا مجلدات، وهو لا ينقصها حقها في البأس والكرم والفداء، ويعترف انها عربية قديمة مقدامة، وانها موطن كثير من المثقفين المرموقين، فقد ظهر فيها فقهاء كثيرون، وقد تعلمت انا في (كلية النجاح) فيها ثلاث سنين فأفدت ادبا ومعرفة، وهي مشهورة بآثارها التاريخية بجبلي(جريزم وعيبال) او بمدينة (سبسطية) المشهورة التي تضاهي (بعلبك) بآثارها الرومانية واعمدتها القديمة.

مدينة (نابلس) عاصمة المثلث الخطر او (مثلث الرعب) كما يسميه البريطانيون بعد ان اصليناهم نارا حامية في ثوراتنا الدامية ضد وعد بلفور والاستعمار، وهذا المثلث هو (جنين) عروس مرج ابن عامر الكلابي وفيها اقول حين زرعت قربها اول مستعمرة لليهود:

جنين عروس المرج ماذ جرى بها لقد طوحت كف الاسى بشبابها

و(نابلس) التاريخية المشهورة و(طولكرم) كبيرة قضاء بني صعب، اما (جنين) فهي زاوية هذا المثلث الشمالية، وهي اشبه بربة التاج، فالجبال من خلفها وعن يمينها ويسارها، ومرج(ابن عامر الكلابي) يمتد امامها الى (حيفا) كانه بساط اخضر، ومن الشمال مدينة (الناصر) مدينة سيدنا المسيح عليه السلام، ومن الشرق مدينة (بيسان) طريق فتوح الجيوش العربية زمن الروم، ومنزل عشيرة(الصقر) المتفرعة من عشائر (بني لام) في العراق، وقضاء جنين الشاسع كان يضم قضاء(بيسان)زمن الترك، وقسما من قضاء طولكرم ونابلس، الا ان الانجليز قلعوه فيما بعد، ثم مسخوه يوم اقتطع اليهود قسما عزيزا منه بخرائط مشوهة كان يعلم بها الملك عبدالله و(ابو حنيك) ووزراء الاردن حيث جرى هذا بمعرفتهم بعد انسحاب جيوش العرب من فلسطين اثر معارك سنة ١٩٤٨م وحين لم يكن هناك من يساعدنا الا الله.

تضم جنين وقضاؤها نخبة معروفة من العائلات العربية الخالصة، وانا اجهل تاريخ هذه العائلات القديمة، وابغض العائلية والقبلية مادامت تعيق صلاح البلد وتقدم الوطن. وجنين بلد عربي من قمة رأسه الى اخمص قدميه، وهو مجاهد مشهور وسد منيع في

وجه العدو، وقد اثبت رجال جنين والقضاء الكريم بطولات رائعة في الدفاع عن بيضة الوطن يوم غزاها اليهود وقبل الغزو، ومقابر جنين مزينة بكثير من قبور ابنائها الشهداء الابطال، ومن الفخر ان تعلم ان اليهود والانجليز لم يوقفوا بأغراء اي رجل ليبيعهم من ارضه شبرا واحدا في المدينة مهما بلغ به الفقر، هذا مبلغ علمي، ولكن اليهود وفقوا بانتزاع قرى كاملة على يد رؤساء وزارات عربية وبعض الملوك.

## ثانياً - صقور جنين

كانت بيوت بعض العائلات في جنين ذات طابقين، سقف الطابق الاعلى منها من (القرميد) مما سهل للصقر الصغير (الصقير) ان يعيش فيه، ومن اروع ما نرى هناك حرب الصقور والغربان، فقد يداهم الغراب الذي يعيش على رؤوس اشجار جنين الباسقة احدى هذه العشش يحرسه غراب رفيق له، كما تفعل قاذفة القنابل تحرسها طائرة مطاردة، ينقض الصقر على الغراب بعد ان يملأ الفضاء بأنذاره زملاءه الصقور، فتنفرد جميعها للنجدة فتدور معركة رهيبه بين الصقور والغربان حتى تطرد الغربان المعتدية وتنتصر الصقور المدافعة، واهل جنين شاخصون بابصارهم متحمسين للمعركة فرحين بأنتصار الصقور.

وفي جنين عيون جارية، وجنان مدهامة، وجبالها شجراء ومروجها خضراء، وارضها حمراء كنجيع الشهداء، وامامها تل (خروبة) وكان مدينة قديمة كما علمت او مراحا للجيش العابرة من طريق (اللجون) المشهور.

وفي شرقي جنين سلسلة هضاب وعرة، كانت تقوم في احداها مدينة رومانية تدعى (عايا) ولايزال في كهفها هناك توابيت رومية او يونانية بأسم (هيرودوس) وزوجه وابنه، هذا وان كثيرا من قرى جنين، وجميعها جبلية، لايزال يحمل اسماء قديمة يونانية او رومية.

اما العبرانيون فلم يشكلوا دولة كاملة كسائر الدول، وانما كانوا عشائر مختلفة يتنقلون بأنعامهم جاءوا من الجنوب، كما ان جميع سكان القرى في فلسطين هم اسلاف لاجداد عرب نزحوا من الحجاز واليمن والعراق ايام الفتوح السنحاريبية والنبوخذية والاسلامية، وفي زمن البطل الخالد صلاح الدين الايوبي منقذ فلسطين وجاراتها العربية من الصليبيين ارجو ان يلهم الله قادتنا اليوم بتأثر خطاه ونسيان ذاته فيتمموا رسالته بأنقاذ فلسطين وتطهير بلاد العرب من الاستعمار ليخلدوا تخليد القادة المتنفذين لا القادة الموظفين، فالقائد الصحيح هو الذي يطمح الى تخليد عمله بنوع الجهد الذي يبذله لانقاذ شعبه الى الابد، كما فعل الانبياء المرسلون وفي طبيعتهم محمد بن عبد الله ( صلى الله عليه وسلم )، الذي انقذ امة كانت تسعد نفسها لتسعد غيرها من الفرس والروم وسائر اقطار الارض، وكصلاح الدين الذي غير وجه الارض بعقيدته السمحاء وبتمزيق جحافل الغرب المعتدية وانقاذ بلاد العرب والمسلمين الى الابد، وفي صلاح الدين اقول:

فأين صلاح الدين منكم يثيرها على زمرة الطاغوت يسحقهم سحقا

## ثالثاً – عن الدين والجهاد

لقد ضرب رسولنا الكريم لنا المثل الاسمي في الحكمة والصبر والحلم وسداد الرأي، اذ بدأ بجمع كلمة البلاد اولا عادلا نزيها عفيفا، ثم برص الصفوف و(سل) الضغائن النتنة من النفوس، وبغرس الثقة بالنفس والاعتماد على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ونبذ الانانية وبحب التسامح والتواد بين الافراد والجماعات، وعلم القادة الزهد في المناصب والجاه والاكتفاء بحب الامة لقائدها الفذ، واثابة الله اياه في انجاح عمله واتمام رسالة دينه الحق التي هي الاساس لكل رسالة وطنية صادقة، لان الدين انما جاء لاسعاد اهل الارض سعادة ظاهرة وباطنة في الدنيا والاخرة، ينعم فيها كل حسب عمله(يا ايها الذين امنوا انا خلقناكم من ذكر وانثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، ان اكرمكم عند الله اتقاكم) صدق الله العظيم، وبهذه الاخلاق نجح قائدنا الرسول ونجح قادة العرب من بعده، فمدوا ظل العروبة والاسلام سعدا واخاء ونعمة وبركة ونورا لاهل الارض، والعربي او المسلم الصحيح لن يكون الا هكذا بناءا ورحمة لجميع الخلق، هكذا كنا ولكن حين خرجنا عن هذا السنن العظيم، وتنكرنا لمثلنا العليا ومنها الجهاد والعزة، واستعنا بالاجنبي طمعا بمال او منصب غير الله تعالى نعمته بنعمته فينا( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وحين اذبنا شخصيتنا في شخصية غيرنا اضعنا الشخصيتين، فأصبحنا جواسيس وعملاء للاجانب من حيث نشعر ولا نشعر (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) صدق الله العظيم، واليك الحديث الشريف (لئن خرجتم عن دينكم ليسلطن الله عليكم من يظلمكم حتى ترجعوا الى دينكم) والحديث الاخر (يوشك ان تتداعى عليكم الامم من كل جانب تداعى الاكلة على القصاع، قالوا افمن قلة فينا يومئذ يا رسول الله، قال لا، انتم يومئذ كثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينزع الوهن من قلوب اعدائكم ويوضع في قلوبكم من حبكم الدنيا وبغضكم الموت).

ان الله تعالى حين فرض الدين مطهرا للروح، مهذبا للنفس، ومؤلفا بين الخلق، لم يكن جل جلاله وتعاليت اسماؤه وعمت بركاته بحاجة الى خلقه، وانما اراد خير خلقه بهذه الرياضة الخلقية العالية المنظمة، اصف اليها رياضة الصلاة عند المسلمين وهي في حقيقتها رياضتان، روحية وجسدية اما الروحانية ففي الامتثال والقراءة والتسبيح في الركوع والسجود، واما الجسدية، ففي الركوع والسجود اللذين يقويان العمود الفقري ومفاصل الذراعين والركبتين وعضلاتها، قال رسولنا الكريم (امرت ان اصلي على سبعة ارباب)(مفاصل) ولنا ان نقول ان الرياضة السويدية في المدارس ارادت ان تقلد رياضة الركوع والسجود ناقصة من الهاتف الروحي الذي يهتف بالمصلي ان يقوم لاداء هذه الفريضة، وقد استنتجت هذا من ممارستي الصلاة بأصولها المفروضة من قبل وحين تقاعدت من التدريس والحركة، واعوزني الامر الى الحركة المباركة، فلم اجد خيرا من رياضة الصلاة الخاشعة تسد مسد الحركات الرياضية الاخرى.

واما رياضة الصوم فحدث عنها ولا حرج، فهو مهذب، الخلق وطبيب البدن، وافق الروح، والموصل الى الاشتراكية الصحيحة بدعوته الى الشعور مع الفقراء والجوعى

والمحتاجين، كل هذه الآلاء جاءتنا عن طريق الإيعاز الروحي، نؤديها فرحين، لا عن طريق الامر الاداري الذي يسنه البشر فيؤدي خوفا من العقاب الحكومي، (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف)، اما الزكاة فهي العمود الفقري لنبدأ الفقر، وتنظيم اقتصاد الشعب وبحثها يطول لعظمة فوائدها، واما الحج فبحسبك ان تؤدي هذه الفريضة الرائعة عن قلب وشوق وعقل لترى رحمة الله ترف على تلك الربوع القاحلة، تزورها الجموع الفقيرة قبل الغنية فتدرك رحمة الله بجمعه عباده مختلفين الوانا والسنة وأوطانا، متوافقين انسانية وبعد نظر، واما كلمة التوحيد فهي روح الدين والدنيا التي تنظم الكون في رأي واحد، ومدبر واحد، ورازق واحد، وحام واحد اليه المصير الواحد، انه خالق كل شيء، تطمئن اليه القلوب، وتستسلم لرحمته الارواح، ويستريح لآخرته وعدله المظلوم والطائعون، يوم لا ظل الا ظله (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) ثم بنادي ( لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار) صدق الله العظيم، وسورة الاخلاص تعطيك الخلاصة ( قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا احد)، صدق الله العظيم، والصلاة عماد الدين.

## رابعاً - خواطر عن التدريس

ان ثمة فارقا كبيرا بين طريقتنا-معشر العرب- في التدريس وطريقة الامريكان، فنحن نستعمل الشدة احيانا، وشدتنا حسب اعتقادي، مصدرها ان طلابنا لا يتفرغون لدرس تماما وللاستماع للمدرس، ولان المحيط في البيت وخارجه غير المحيط في امريكا، ولهذا لا يستطيع الطالب صبورا على الدرس، كما ان ثمة عوامل خرجة عن اختصاص الطالب تجذبه الى الخارج، وتشرذم بابه وفكره وقلبه عن الدرس. ومن هذه العوامل الفقر وكثرة الغنى الذي لا يجعله يبالي بادرس والمدرس والمدرسة، ما دام ابوه يمنع عنه فقر المستقبل على زعمه وهو او تأمل، العلم ان الغني الجاهل الفقير، والفقير العالم غنى، تحليل ذلك يعمله الطلاب من دروس انشائهم وكتب المطالعةن ولكن الكفر عناه ومن تلك الاسباب اوضاع السياسية في البلد المستعمر(بفتح الميم الثانية) فأن انفاضات الشعب العربي في اي قطر تشغل بال الشباب في سائر الاقطار اعربية، نتيجة للدم الواحد والتاريخ بال الشباب في سائر الاقطار العربية، نتيجة للدم الواحد والتاريخ الواحد والمصاب الواحد واللغة الواحدة .. و.. والخ. اما الامريكان فقد نجو من كل ذلك، وتعدوه الى التطلع الى السيطرة على الاخرين، وما اقوله عن الامريكان ينطبق على الغرب تماما، ولهذا فأن بيت احدهم لا تغمره فاقة او نقصان، ولذا يشب هادئ الاعصاب، ينظر حوله فيره امه واباه واخوته وجيرانه يقرأون ويدرسون فتجره القافية دون ان تشقيه العقد النفسية التي تشقي الطالب العربي ساكن(الصريفة والكوخ)، اصف الى ذلك اهمال رجال الحكم للروح الوطنية في جميع بلاد العرب، وتفاهة رفاق السينما اللصوصية والخليعة، والكتب المشوهة، وصور العاريات التي سدرها الصهاينة والمستعمرون، مما يطير بصواب الطالب المراهق

فيدفنها في جيبه ينظر اليها خلال الدرس، حيث يستغل انشغال المدرس بالشرح على السبورة، هذه اسباب وسيب اخر هو ما في المدرس نفسه من عقد نفسية ارهقه بما القائمون على امر دوائره ومدرسته(فهو الى جانب حرمانه من العيش الهنيء الهاديء الذي يغنيه عن الاهتمام بغير درسه وطلابه، يجد من عنجهية رؤساء مهنته وتحزبهم استخفافا بالنظام والعدل، ويرى نفسه هدفا للنقل في كل عالم الى حيث يموت قهرا، واطفاله يتضورون جوعا، ويحرمون العلم وهو متناول ايديهم، كما حرموا ارضا يقتاتون منها او بيتا يسترون فيه عورتهم او وفرا يتممون به تحصيلهم وهذا يصدق عليه قولي:

بيت المعلم واه لا اساس له اعلى الطباشير يرسو ، لا التباشر  
واني لا عجب للمسيطر يهمل المعلم ترى هل كان يبلغ ما بلغ من منصب لولا جهد المعلم  
الذي قال فيه شوقي:

قف للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم ان يكون رسولا  
ارأيت اعظم او اجل من الذي يبني وينشيء انفسا وعقولا  
على انني لمست بعد كتابتي هذه الملاحظات ان الدولة في العراق انتبعت فسهلت للمعلم  
وغيره سبل السكنى بمنحه ارضا يبنيها بسلفة من الدولة، واما بخصوص عقاب التلميذ  
بالضرب احيانا فقد قال المعري:

اضرب وليدك وادله على رشد ولا تقل هو طفل غير محتلم  
فرب شق برأس حر منفعة قسه على نفع شق الرأس في القلم  
وقد انقسم علماء التربية في الشرق والغرب حول ضرب الطالب وحصره بعضهم في سن  
المراهفة حيث يخرج الطالب المتمرد عن الاصول وانا افضل ائماء روح العزة في  
الطالب وان كنت اهدد طالبي المترد مازحا بالخمسفة المنقبضة والخمسفة المنبسطة(كف  
وليد وجمعها) وبالعجل (الموزمبيقي) دون تنفيذ.

## خامساً - من نوادر الشيخ أسعد الشقيري ( رحمه الله )

اذكر ان الشيخ أسعد الشقيري ( رحمه الله ) حملني معه ذات مرة في سيارته من جنين الى القدس ليثبت بدهائه ان اصدقاء الشقيري (آل العبوشي) ليسوا اعداء للامير عبدالله( قبل الملكية)، وفي طريقنا الى القدس حدثني فضيلته عن نوادره في بلاط السلطان العثماني يوم كان مفتيا للسلطان، قال ( رحمه الله ) ما معناه: مررت يوما من امام عرش السلطان والسلطان غائب، فوقفت اتأمل في العرش مندهشا، ثم تقدمت وسولت لي نفسي ان اشبع شهوتي في الجلوس على العرش ولو دقيقة واحدة، فجلست وتخيلت انني السلطان، فأمرت ونهيت وفتحت واستغرقت في الخيال فنسيت نفسي، واذ بجند السلطان يدخلون ويشخصونني امام السلطان وهو مغتاض فهلعت، فسألني: لم جددت النعمة فاستهنت بي وتمنيت موتي؟ فاعجزني الجواب، ثم تحاملت فقلت: ياسيدي السلطان، انت تعلم انني افديك، وهذا ما دعاني الى ان اجلس في مكانك ليقتلني

المتآمرون بذلك وتسلم انت، فبهت السلطان ثم ضحك كثيرا وقال الم تجد خيرا من هذا الدفاع عن نفسك؟ اذهب فقد عفوت عنك.

ثم حدثني فضيلة الشيخ قصة اخرى من نوادره وسعة حيلته وتدبره، قال ما معناه: كنت في قصر السلطان مفتيا وجيء بشيخ عربي معمم متهم بالتأمر، وكان السلطان يريد إعدامه فاستجار الشيخ بي، وراح يقبل يدي لانقاذه، فقلت له لا بأس، حين تدخل على السلطان اظهر العظمة والجلد وستراني الى جانبه، وادخل الشيخ على السلطان وما أن رأيته حتى هجمت اقبل يدي الشيخ وركبتيه واتمسح بجبته تيركا لأوهم السلطان المتدين ان الشيخ من عترة الرسول الكريم، فدهش السلطان وتغير غضبه، فعفا عنه وخرج الشيخ فتبعته، وإذا به أخذ يتعجرف علي ويتكبر وقد انقذته من موت اكيد، فلغنته ولغنت سلامته.

وأذكر ان الامير عبدالله بن الحسين مر بجنين يوم سفره الى لندن من اجل الملكية، وجاء فضيلة الشيخ أسعد الشقيري لاستقبال صديقه الامير عبدالله في قرية عرابة من قضاء جنين فحملني بسيارته لزيارة الامير فاعلنت له انه ليس في صالحه ان اقبل الامير، فأبى إلا أن يأخذ اليه ولو صبيا من آل العبوشي ليثبت للامير ان آل العبوشي ليسوا ضده كما يصور له منافسوهم الذين هم اعداء الشقيري من زمن العثمانيين.

ودخلت الخيمة واذا بالامير محاط بجماعة من جنين وغيرهم وجماعة من الانكليز فقدمني اليه الشيخ قائلا: اقدم اليك هذه (الغضبة)، فصافحني الامير واقفا مهتما بالشيخ وهو يلاحظ صغر سني، فبادرته قائلا والجميع وقوف: ياسمو الامير، انت سليل بني هاشم الذين منهم نبينا محمد رسول الله فكيف تتخذ هؤلاء الانكليز بطانة وحراسا وهم الذين باعوا اباك الشريف؟.

ومضيت على هذا النحو فاحمر وجه الامير وقال ( صحيح، صحيح ) مجاملة، ثم تركت الاجتماع وعدت الى جنين وهم ينعنونني بالجنون.